الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمـي
جـامعة زيـــان عـاشـور بالجلفـة
كلية الآدب واللغات والفنون

مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

النّحو الوظيفي

دروس موجهة إلى طلبة السنة أولى ماستر (لسانيات الخطاب)

السداسي: الأوّل

إعداد الأستاذ : عمر رتيمي

السنة الجامعية : 2023/2022

عنوان الماستر: لسانيات الخطاب

السداسي: الأول

وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة : النحو الوظيفي -1-

الرصيد: 05

المعامل: 03

- **أهداف التعليم :**

تكوين قاعدة معرفية تؤهل الطالب لتحصيل معرفة نظرية وعملية في مجال نظرية النحو الوظيفي انطلاقا من منابعها الأصلية عند سيمون ديك، ثم في تمثلاتها العربية مع مشروع أحمد المتوكل، وذلك بهدف التعرف على النظرية بشكل أعمق، مع إمكانية استثمار مفاهيمها ورؤاها في الدراسات اللغوية العربية.

- **المعارف المسبقة المطلوبة :**

معرفة الطالب المسبقة بمفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب، وأهم النظريات الدائرة في لسانيات ما بعد الجملة ، بالإضافة إلى معرفته النظرية والعملية بمستويات التحليل النحوي والبلاغي.

مفردات المادة (محاور المحاضرات) :

المحاضرة الأولى: نموذج هايمز من الواقعية التركيبية إلى الواقعية النفسية

المحاضرة الثانية: نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس والتأصيل

المحاضرة الثالثة: بين الوظيفة والوظيفية

المحاضرة الرابعة: موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي

المحاضرة الخامسة: القدرة التواصلية وضوابط الوصف اللغوي

المحاضرة السادسة: تنظيم مستعمل اللغة الطبيعية ومشروع النحو القالبي

المحاضرة السابعة: القالب النحوي وخصوصياته في تمثيل اللغة

المحاضرة الثامنة: الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الحملية

المحاضرة التاسعة: الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية المكونية

المحاضرة العاشرة: الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الوظيفية

المحاضرة الحادية عشر: النظرية القالبية وتطبيقاتها في الاستعمال اللغوي

المحاضرة الثانية عشر: نحو الخطاب الوظيفي

المحاضرة الثالثة عشر: النحو الوظيفي المقارن

المحاضرة الرابعة عشر: إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي تنظيرا وتطبيقا

مقدمة :

إن البحث في مثل هذا الجانب من الدراسة ، و المتعلق بإعداد وجمع دروس مقياس (النحو الوظيفي) يقودنا لا محالة إلى إعادة الحديث السابق في درس اللسانيات عن تبعية أبنية اللغة لوظائفها ، و هو الأمر الذي سنسوق جلّ الكلام عليه ، فلا يختلف اليوم باحثان في أن غاية اللغة و موضوعها بكل أنساقها و أنظمتها هو التبليغ و التواصل .

و لعل أبرز ما نقدمه ههنا هو التمثل الصحيح للمنحى الوظيفي للخطاب ، و من ثم الاستفادة من كثير إجراءاته في الممارسة التطبيقية على الخطاب عموما ، خاصة فيما يتعلق بقضايا النحو الوظيفي ومدارسه و أعلامه، مما يجعل الدارس بين نماذج تبسيطية تعينه على استكناه بعض المسائل اللغوية في إطارها الوظيفي .

و لقد كان اعتمادنا على جهود الأستاذ الباحث (أحمد المتوكل) إذ سنركز على أهم ما قدّمه، و هو باحث مغربي صدر له لحد الآن أزيد من عشرين مؤلّفا باللغة العربية و الفرنسية و الإنجليزية ، عن الدرس الوظيفي و أهم ممارساته ، و سنقدّم له من خلال كتبه :

- اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري .
- الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البيئة و النمط .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية .
- مسائل النحو العربي – في قضايا نحو الخطاب الوظيفي .

وغيرها من الدراسات التي استطاعت أن تقرّب مفاهيم هذا الموضوع ، وأن تبسط تفاصيله الغربية إلى الباحث العربي في كل مستوياته البحثية .

من هنا يتأسس الحديث في هذا المقياس (النحو الوظيفي) عن أهم المحاور التي أرساها هذا الأخير من خلال توسيع العديد من المفاهيم ، وتحديد أغلب خصائصه التي يمكن في الكثير من الأحايين أن

تمدّ الدرس اللساني المعاصر بإسهامات أصحاب هذا الاختصاص وغيره ، سواء في مراحله التأسيسية مع دي سوسير و أتباعه في ضبط حاصل التطورات الأساسية الكبرى ضمن حقل اللسانيات عموما ثم ما كان من بعد ذلك من تلامذته .

لذا فجدير بالذكر أن تتصف هذه المحاضرات بالدقة والتركيز، والتفصيل والنمذجة، مما يجعل العمل متاحا لطلبة العلم في هذا المستوى (السنة الأولى ماستر) دون المطالع و المتوسّع ، ولعل القدر الذي نكتفي به في بعض المرات يكون كفيلا بالتمثيل عن النظرية أو الرأي دون التطبيق و الإجراء .

المحاضرة الأولى: نموذج ديل هايمز من الواقعية التركيبية إلى الواقعية النفسية

تمهيد :

نحاول في هذه المحاضرة التعرف على مشروع من أهم المشاريع اللغوية التي أراد من خلاله صاحبه بحث سبل الدراسة الاجتماعية للغة ضمن حلقة الاهتمام السائد بالتحليل السوسيولساني، وهو المتمثل في جهود ديل هايمز .

فمن هو ديل هايمز؟ وما أهمّ روافد مشروعه اللغوي ؟ ثمّ إلى أيّ مدى يمكن الاستفادة من دراسته في ظل البحث الوظيفي للغة ؟ .

1/ ديل هايمز:

ديل هايمز من مواليد يوم7 جوان سنة 1927 فى مدينة بورتلاند فى ولاية اوريجون,الأمريكية ، مات فى 13 نوفمبر سنة.2009 .

ويمكننا اختصار مجمل ما عناه هايمز في مشروعه من خلال هذا البحث المقدّم بقلم الباحث عز الدين البوشيخي في مقال بعنوان (لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي) وهو بحثٌ قُدّم في مؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير. المغرب : " ... تكمن أطروحة هايمز (1982، 12) في ضرورة توسيع مجال اللسانيات ليشمل مظاهر تداولية وخطابية ونصية، ولكن ذلك لا يمكن أن يتم - في نظره - بصورة معقولة طالما ظل موضوع التحليل هو اللغة خارج سياقها، وطالما ظل هدف التحليل هو تحديد الممكن نسقيا (نحويا) في لغة من اللغات، وطالما ظل التحليل منصبا على وظيفة واحدة من الوظائف الأساسية المدروج على تعيينها بالوظيفة الإحالية أو المعرفية، وطالما ظل النحو هو الإطار

المرجعي الذي تدرس داخله اللغة . وبعبارة، يقتضي توسيع مجال اللسانيات تجديد النظر على أسس نقدية في موضوع النظرية اللسانية وأسسها وأهدافها. وفيما يلي بيان ذلك .

- **عن ثنائية القدرة والإنجاز:**

من المؤكد أن الكيفية التي استعمل بها تشومسكي مصطلح القدرة جعلت منه مصطلحا مهيمنا. ولأن هذا المصطلح ارتبط - أول ما ارتبط - بالنحو فقط، فإن عناية معظم الباحثين لم تتجه إلى شيء آخر غير القدرة النحوية. وكان ذلك أمرا مُرادا. فقد عمد تشومسكي - في مرحلة أولى - إلى إقصاء التفكير في افتراض قدرة غير نحوية لتحقيق هدفين اثنين:

أ - ترسيخ فكرة إقامة فرق حقيقي بين نسق تحتي هو النحو وبين سلوك فعلي هو الإنجاز.

ب - وتأكيد أن القدرة النحوية هي وحدها الكفيلة بأن تشكل الأساس الضروري لدراسة استعمال اللغة أو إقامة نموذج الإنجاز (هايمز 1994: 80). وقد سلك من أجل ذلك طريقتين اثنتين على الأقل: تتمثل الأولى في استعمال مصطلح الإنجاز استعمالا ملتبسا. وتتمثل الثانية في الإيهام بأن اعتماد التجريد لا ينجم عنه إلا افتراض قدرة نحوية"[1] .

وهنا جدير بالذكر أيضا أن يراعى في هذا الصدد ما يستدل على أن مفهوم القدرة التواصلية الذي قدمه هايمز يعتبر الأكثر تطورا لأنه استدل على أن مفهوم القدرة ينبغي أن يتوسع ليشمل الاستعمال اللغوي إضافة إلى خلق الجملة .

هذا عن القدرة أما الإنجاز فيتساءل هايمز عن فحواه :" أهو معطيات السلوك الكلامي؟ أم كل ما يثوي خلف الكلام باستثناء النحو؟ أم كلاهما؟ " [2]

وهنا يحتكم هذا التساؤل إلى ما مراده البحث عن القواعد التي من شأنها أن تحكم الاستعمال .

---

[1] - عز الدين البوشيخي : مقال بعنوان " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " بحث مقدم لمؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير . المغرب

[2] - المرجع نفسه .

وفي ظل نقد هايمز لنظرية تشومسكي عن القدرة والإنجاز ، يضيف إلى ذلك دعاوي تشومسكي في انصرافه عن القول بقواعد الاستعمال ، مما يتيح له في الأخير الاعتراف بها تحت طائل المسمى بالقدرة التداولية " لقد تجنب تشومسكي -في مرحلة أولى- الحديث عن تخصيص قواعد الإنجاز الأسلوبية أو قواعد استعمال اللغة بمصطلح قدرة تحتية من نوع آخر، وذلك بهدف ترسيخ فكرة مفادها أن استعمال اللغة ليس إلا تحقيقا ناقصا لنسق تحتي. وبعد أن كُسب هذا الرهان، لم يجد تشومسكي بأسا من بحث العلاقة بين قواعد النحو وقواعد الاستعمال، ومن الاعتراف بوجود "قدرة تداولية" إلى جانب القدرة النحوية (هايمز 1973 :78 و79) . وأما اعتماد التجريد فلا يفسر في شيء اعتبار القدرة اللغوية موضوعا أساسيا جديرا بالدراسة، واعتبار كل ما يتعلق باستعمالها شأنا هامشيا. ذلك لأن الاقتصار على دراسة القدرة اللغوية (القدرة النحوية) ليس أمرا ناجما عن التزام التجريد، بل هو اختيار شخصي وحسب. إذ يمكن - ولا مانع من ذلك - اعتماد التجريد في دراسة قدرة أشمل تكون القدرة النحوية مجرد مكون من مكوناتها، وليس مكونا أساسا جديرا -دون غيره- بأن يشكل موضوع النظرية اللسانية. ولكن تشومسكي تدرع بهما لإقصاء كل الأفكار المعارضة بتقديمها على أنها تنكر أهمية التجريد في تقدم المعرفة العلمية ولا تعمل وفق مقتضياته، ولسد الطريق أمام تصورات مغايرة لموضوع النظرية اللسانية ومنهج معالجته (هايمز1982: 132و133)" [3].

وإذا كان الأمر كذلك فإن ما يتعلق بالأساس من اختلاف جوهري بين المعرفة اللسانية واستعمال اللغة " فتشومسكي مثلا يميز بين القدرة النحوية و المعرفة التي يمتلكها المتكلم الفطري المؤمثل the idealized native speaker والإنجاز performance، محيلا على المعطيات اللسانية الحالية . واستنادا إلى تشومسكي ، يمكن النظر إلى القدرة اللسانية على أنها وظيفة بيولوجية فطرية للذهن تجيز للأفراد إنتاج مجموعة لا محدودة من الجمل التي تكوّن لغته ... وباعتبار المقاربة

[3] - المرجع نفسه .

السوسيوثقافية للغة كنقطة بداية ، فإن المفهوم الأكثر تطورا للقدرة التواصلية هو ذلك الذي قدمه هايمز "[4].

من هنا يمكننا اعتبار تشومسكي أنه " لم يُقَدم نظرية عن حقيقة القدرة والإنجاز، وإنما قدم عنهما فرضيات مصوغة بلغة مجازية: إنه يتحدث عن القدرة ويقصد النحو (بمعناه الضيق)، ويتحدث عن الإنجاز ويقصد تجلياته النفسية، بل حين يتحدث عن الاستعمال الخلاق للغة أو مناسبة القول للمقام يقصر تحليله على مستوى التركيب ويتحاشى تحليل السياق الاجتماعي (هايمز18 : 1973). كل ذلك يصور المتكلم حرا في أن يقول ما تمكنه اللغة من قوله غير مقيد بالمقام التواصلي، ولا معتمد على شيء في اختيار هذا القول دون غيره، حتى إن الظن ليذهب إلى اعتبار أن القدرة النحوية توازي -في منظور تشومسكي- عدم القدرة التواصلية (هايمز 1982:139) "[5].

أما عن الجزئية الثانية بعد القدرة والإنجاز فهي تلك المتعلقة باللغة والاستعمال ، وهنا مناط القول فيه ما اصطلح عليه هايمز باللسانيات الواقعية اجتماعيا ، حيث تكون الخصائص اللغوية والمقاييس الاجتماعية متناسبة إلى حد بعيد .

- **عن اللغة والاستعمال[6] :**

لقد تنقلت اللسانيات عبر مراحل تطورها من العناية بالدراسة الصوتية والصرفية إلى العناية بالتركيب ثم بالدلالة. وفي كل مرحلة كانت تنكشف مظاهر جديدة تساهم إلى جانب المظاهر الأخرى في بنينة اللغة. وكان على اللسانيات أن تتابع تطورها في اتجاه بحث العلاقة بين بنية اللغة وبين مختلف استعمالاتها لا سيما أن جهودا سابقة - كجهود أعلام مدرسة براغ وفورث وبايك وغيرهم - كانت مهدت وساهمت في بحث هذا الموضوع (هايمز 1973: 19). ومع أن النظرية التوليدية - التي انحرفت عن هذا الاتجاه في البحث - هيمنت بقوة على ميدان اللسانيات إلا أنه سرعان ما أصبح

---

[4] - فلوريان كولماس : دليل السوسيولسانيات – تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي – المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركزدراسات الوحدة العربية – بيروت /2009

[5] - عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

[6] - المقال السابق .

يتضح لعدد متزايد من اللسانيين أن دراسة الجمل بمعزل عن سياقها الطبيعي وعن متكلميها اختيار منهجي استنفذت الحاجة منه، ولم يعد من اللائق العمل به، ذلك لأن عزل الجمل عن سياقها يثير شكوكا بخصوص واقعيتها من جهة، ويتجاهل دور السياق التواصلي في تحديد بنية هذه الجمل من جهة أخرى (هايمز1973 :13و19). فاللغة التي تصل إلى يد اللساني، وينصرف إليها بالوصف والتفسير ليست لغة بريئة من الاستعمال؛.إذ إن كل جملة موسومة بخصائص أسلوبية واجتماعية.

وعليه، فإن المعطيات المعتمدة - سواء أكانت ملفوظات أم أحكاما على هذه الملفوظات - لا يمكن أن تتخلص من التأثر بسياق ورودها. وإذا أردنا حقا - يقول هايمز (1974: 111و112) - بناء نظرية لغوية عامة، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن اللغة وضعت كي تُستعمل، وهي منظمة بطريقة تيسر تأدية هذا الغرض، ولا يمكن عزلها عن الأهداف التي تُستعمل من أجلها.

وإذا كان من المسلم به أن هناك قواعد تركيبية تراقب بعض المظاهر الصوتية، وأن هناك قواعد دلالية تراقب -إلى حد- بعض المظاهر التركيبية، فإن هناك أيضا قواعد الاستعمال التي تراقب البنية اللغوية في مجملها؛ إذ لا يمكن-على سبيل المثال- أن ندرك العلاقة القائمة بين وسائل التواصل المختلفة إلا انطلاقا من مستوى ليس هو الصِّواتة أو التركيب أو الدلالة، إنه مستوى أفعال الكلام الذي يشمل الوسائل غير اللفظية مثل حركات الجسد .

وبناءا عليه، لم يعد من الوارد أن نعادل بين القدرة وبين النحو (بمعناه الضيق)، أو أن نفهم النظرية اللسانية على أنها نظرية نحوية فقط. وبصفة أدق، لم يعد مقبولا أن يظل مجال النظرية اللسانية محصورا في الجملة وأن يظل ما عاداها على الهامش .

على هذا الأساس كان لزاما علينا الاستفتاح في هذا المقياس بهذه المحاضرة المتعلقة بجهود ديل هايمز اللسانية ، والتي تظهر مدى استيعاب تحليلاته الاجتماعية لطبيعة القضايا اللغوية من جهة الاستعمال والإنجاز ، ثم من جهة القدرة ووصفها بالتواصلية – بخلاف القدرة اللسانية – التي دون شك أثمرت فيما بعد بضرورة الاعتداد بها كمبدأ يقرّ به أصحاب النحو الوظيفي في نظرياتهم

الموسعة والمتمثل في (وصف القدرة التواصلية بديلا أو مضافا للقدرة الذهنية المجردة للمتكلم/السامع) .

مصادر المحاضرة :

1/ فلوريان كولماس : دليل السوسيولسانيات – تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي – المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركزدراسات الوحدة العربية – بيروت /2009

2/ عز الدين البوشيخي : مقال بعنوان " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " بحث مقدم لمؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .جامعة ابن زهر، أكادير . المغرب

3/ أحمد المتوكل : افاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي – منشورات كلية الآداب - الرباط -1993

المحاضرة الثانية: نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس والتأصيل

تمهيد:

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانيةالكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ و التواصل، و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري "[7]،أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال .

1/ رومان جاكبسون ووظائف اللّغة:

لقد وضع رومان جاكبسون (1896- 1982) نموذجا للتواصل اللغوي أراد من خلاله إبراز وظائف اللغة مستندا في ذلك إلى خلفياته الوظيفية و البنيوية و من علوم الاتصال فكان أنموذجه تواصليا بنيويا ، و حدد عناصر التواصل فيه بـ: المرسل ، المرسل إليه ، المرجع ، القناة ، النسق (الوضع) ، الرسالة .

ومن هذا التصور حدد مجموعة الوظائف المعروفة: الوظيفة الانفعالية (التعبيرية)، المرجعية (الإحالية)، التأثيرية (إقامة التواصل)، الشعرية، الندائية، الميتالغوية، تلقاه الناس في عصره بالقبول و الإعجاب ، و لكن بعد ذلك و في ظل ظهور نظريات السياق و التداول تبين أن هناك ثغرات ، فالنموذج المقترح يحتاج إلى تعديل و إعادة نظر و صارت هذه الوظائف غير مقنعة .

2/ نقد خطاطة الوظائف عند جاكبسون:

إنّ أهمّ ما قيل عن ذلك أنه بهذا الطّرح يتمّ التّعامل مع اللّغة بمعزل عن أغراض التخاطب، و أصبح من جملة ما قدَم من نقد لمشروع جاكبسون هو النقد المعرفي الموجه للبنيوية في عمومه، فمن

---

[7] - ماريآن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر . محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 – ص : 202 .

ذلك اقتراح (روبول) في العدول عن تسمية (الوظيفة الانفعالية) بـ(الوظيفة التعبيرية) على أساس أن الانفعال أقل من التعبير فالتعبيريةأشمل من ذلك ، كما يرى من وجهة نظر أخرى أن (الوظيفة المرجعية) يجدر بها أن تكون (التسمية) لأن هناك بعض التعابير التي لا مرجعية لها [8] .

وغيره أيضا من النقود الموجهة كالذي كان من صميم رواد نظرية الأدب فـ " صحيح أن رومان جاكبسون قد عرض في مقاله المشهور (اللسانيات و الشعرية سنة 1963) الوظائف المختلفة للغة في إطار نظرية التواصل ، غير أنه لم يعر اهتماما كبيرا لدور القارئ في عملية التواصل ، سواء في صلب النظرية أو في تحليله لنصوص الشعر ، لم يكن يثيره ما يمكن أن يلحق تأويل نص وتقويمه من تغييرات بسبب الظروف التاريخية المتغيرة "[9]، ومنه أيضا ما كان لنقد نموذج خطاطته الوظائفية ، ففي هاته الخطاطة " يمكن أن نؤاخذه على عدم تأمله في مقومات كافية ، و يحاول بعد ذلك تركيب الخطاطة حتى تصبح بطاقة أكثر استيعابا لمجال اهتمامها "[10].

3/ كارل بوبروالوظائف :

هناك من ناقش مسألة الوظيفة من جوانب تختص بعوالمه المختارة مثل (كارل بوبر)[11] الذي حصر الوظائف في : التعبيرية و الإشارية و الوصفية و الحجاجية .

تنطلق نظرة بوبر للوظيفة من نظريته الابستمولوجية لعوامل المعرفة الإنسانية " عالم الموضوعات الفيزيائية وعالم الأحوال الذهنية أو الاستعدادات السلوكية للفعل ، و عالم المحتويات الموضوعية للفكر ... و الهم الرئيسي هو تبرير وجود عالم ثالث للمعرفة الموضوعية ... و يتضمن هذا بيان كيف أن اللغة ذاتها قد تكون حاصلة على قناة بموجبها يصير المستوى البيولوجي للتطور قاعدة و أساسا لأسرع و أقوى أنواع التطور ، أعني تطور المعرفة ... و الجزء الجوهري من هذا التفسير يفترض أو يسلم بالتقدم من أدنى الوظائف إلى أعلاها في تطوير اللغة الإنسانية "[12].

---

[8] - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط1/ 2004 : ينظر تمهيد صاحب الكتاب : ص : (11- 14) .

[9] - محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط2/ 2004 – ص : 32 .

[10] - ك. اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر : محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2007 – ص : 18 .

[11] - جيوفري ليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – ص : 68 – 69 .

[12] - المصدر نفسه – ص : 69 .

بهذا التقديم لكارل بوبر فإن وظائف اللغة عنده تحتكم إلى تراتبية تتحدد وفق المخطط الآتي [13]:

- الوظيفة الحجاجية (استعمال اللغة لتقديم و تقويم الحجج و التفسيرات) .

- الوظيفة الوصفية (استعمال اللغة لوصف الأشياء الموجودة في العالم الخارجي) .

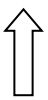

- الوظيفة الإشارية (استعمال اللغة لتبليغ الخبر و المعلومة عن الأحوال الداخلية لأفراد آخرين) .

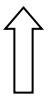

- الوظيفة التعبيرية (استعمال لغة معبرة عن الأحوال الداخلية) .

لتصبح بذلك الوظيفة الحجاجية و هي أعلى الوظائف موجودة بالضرورة مع كل ما ينطوي تحتها من الوظائف، في حين لا يمكن التسليم بالعكس ، بينما عند إجابة بوبر عن إشكالية الانتقال أو القفزات التطورية من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى وضح ذلك بمثال : " كيف ينشأ طريق للحيوان في الغابة ؟ ... والسلوك التعبيري عند الوليد الحديث (الصراخ) " [14] .

إن تمييز بوبر بين هذه الوظائف هو من صميم نظريته الوظيفية التي تميز اللغة بوصفها مهارات تتعدى التعبير عن النفس أو مجرد وسيلة إشارية إلى ما أوسع من ذلكو هو تطوير الوعي و ربط اللغة بالخطاب، " فاللغة البشرية ليست مجرد تعبير عن النفسمجرد وسيلة إشارية فللحيوانات هاتان المهارتان أيضا، و لا هي مجرد مجموعة من الرموز، فهذه هي الأخرى – حتى الطقوس منها – موجودة لدى الحيوانات أيضا.

و مما انتقد فيه مشروع كارل بوبر عن نظريته و وظائف اللغة هو عدم اهتمامه باللغة ، و لكن عدم الاهتمام في حد ذاته له دلالته في فلسفة بوبر اللغوية فجدير بالذكر أن نعرف أن فلسفة بوبر تقوم على أساس يخالف الخط الوضعي و التحليلي و أن " ما يستحق الاهتمام هو وضع الفلسفة

---

[13] - جيوفري ليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – ص : 69 – 70 .

[14] -المصدر نفسه – ص : 70 .

أمام مشكلاتها الحقيقية ، التي لا يمكن اختزالها و لا اختصارها في مشكلات لغوية أو في تحليل عبارات منطقية ... وأن فكرة البحث عن لغة دقيقةو صارمة و خالية من اللبس و الغموض فكرة وهمية "[15] ، بالإضافة إلى هذا فإن كارل بوبر نفسه أقر بعدم وصوله إلى المرحلة الجامعة المانعة في ثنايا مشروعه ، بينما اقترح (جيوفري ليتش) توسيع عوالمه الثلاثة إلى عوالم أربعة مضيفا عالم الوقائع الاجتماعية أو ما يسميه (جون سيرل) عالم (الوقائع المؤسساتية)[16] .

مع ما قدمته هذه الرؤية للوظائف اللغوية إلا أننا نجد أنفسنا أمام محل التوسع و الإثارة فيها ، و هو ما كان تقديرا بالغا لصاحبها في معظم مشروعه ألا و هو (اللغة الحجاجية) لأنها معيار الصحة و التطابق و مبعث التجديد و الإبداع ف" ابتكار اللغة البشرية الحجاجية قد مكننا من خطوة أخرى إلى الأمام ، من ابتكار جديد : ابتكار النقد ، ابتكار الاختيار الواعي ... ليس ثمة معرفة دون نقد عقلي ، نقد في خدمة البحث عن الحقيقة ، و أهمها المعرفة العلمية "[17].

4/ هاليداي ووظائف اللّغة:

ثم يأتي أيضا من يتصدى للبحث في وظائف اللغة، ليعالجها في ثلاثة وظائف أساسية، وهو اللساني (ما يكل هاليداي) وذلك من خلال:

-الوظيفة التمثيلية أو الصورية: و تعمل اللغة مؤدية لوظيفة التمثيل لما يعيشه المتكلم من واقع ، فهي كوسيلة لنقل و تأويل تجربة العالم سواء العالم الخارجي أو ذات المتكلم .

- الوظيفة التعالقية أو ربط العلاقة بين الأشخاص: تقوم اللغة بوظيفة التعالق عندما تضطلع بدور التعبير عن المواقف الشخصية ، و التأثير في سلوك المخاطبين إذ تسهم في تركيب تجارب المتكلمين و معاملتهم مع واقعهم ، بالإضافة إلى ما تقدمه من إقامة للعلاقاتالاجتماعية عند التعبير عن الأدوار المنوطة بهم كدور السائل و المجيب ، والآمر و الناهي ، فتكون بذلك في صميم وظيفة التعالق .

---

[15] - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة – ص : 95 .

[16] - جيوفري ليتش : مبادئ التداولية : ينظر تفاصيل – ص : 71-74 .

[17] - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة – ص : 100 .

- الوظيفة النصية أو التناصية: و هي الوظيفة التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها أو تؤدي وظيفة بناء النص ، فيكون لزاما على المخاطب التمييز بين ما هو نص ، و ما هو مجرد جمل متوالية ، أي البحث في علاقة (الاتساق) التي يستلزم وجودها كل خطاب متماسك .

و من هذه الوظيفة الأخيرة يأتي الكلام عن تخصيص هاليداي هيأة مخصوصة عرفها باسم (الوظيفة التمكينية) لاعتبارها أداة للوظيفتين الأخريين، الأمر الذي حمله به نُقاده التيه و الضلال في الاعتبار بهذا النسق ، تمثل ذلك في نقد (ليتش) له بـ:

- لا يمكن الاعتبار بأن الوظيفة التناصية وظيفة على الإطلاق ، لأنه لا يتأتى لنا أن نقول عن اللغة أنها تنقل ذاتها عن طريق النصوص إنما المفروض العكس ، " سأعترض على أنه بالرغم من أن التنظيم أو البنية التناصية للغة تلعب دورا هاما في عموم التقدير و الاعتبار الوظيفي للغة بوجه عام ، فمن الضلال أن نسمي الوظيفة التناصية " وظيفة " على الإطلاق ، لأن هذا قلب للحقيقة رأسا على عقب ، لقولنا أن اللغة وظيفتها إنتاج ما به تحقق ذاتها ، فليست وظيفة اللغة أن تنقل ذاتها عن طريق النصوص ، بل النصوص هي التي من وظيفتها أن تنقل اللغة "[18] .

- لا يمكن إدماج الوظائف الثلاثة كلها ضمن النحو، إنما يجدر بنا أن نجعل الوظيفة الصورية تنتمي إلى النحو، بينما الوظيفتان الأخريان تنتميان إلى التداولية .

و من هنا كان نقد (ليتش) لهاليداي بمثابة البحث على اقتراح أكثر مرونة في صياغة الوظائف الأساسية للغة ، و لقد كان اقتراح النموذج الوظيفي الذي اتخذه (ليتش) مبينا لكيفية مساهمة العناصر المتنوعة للنحو و الخطابة في أداء اللغة خدمة للسلوك المتجه لغاية ، فمع أن (ليتش) احتفظ بحدود و مسميات هاليداي في مشروعه الوظيفي إلا أنه عبر بالوظيفة عن معنى متجه الغاية مما لم يكن مستعملا بهذا الحد عند هاليداي إذ " بدل أن نقول مع هاليداي بأن للغة وظيفة تناصية ، يكون من الأفضل أن نقول بأن للنص وظيفة لسانية، هي وظيفة قائمة على توصيل المعلومات اللسانية "[19] .

---

[18] - جيوفري ليتش : مبادئ التداولية – تر : عبد القادر قنيني – ص : 77 .

[19] - جيوفري ليتش : المبادئ التداولية – ص : 82 .

مما تقدم يبدو أن ما عدَه هاليداي من وظائف مستقلة للغة سواء الصورية منهاأو التعالقية أو التناصية إنما هي آيلة إلى وظيفة واحدة و هي (وظيفة التواصل)، وهو الاختزال الذي تبناه الباحث (أحمد المتوكل) معضدا له بما ذهب إليه (سيمون ديك) في " اعتباره أن التواصل عملية ذات أبعاد مختلفة : بعد علاقي و بعد توجيهي و بعد إخباري و بعد تعبيري و بعد استثاري تتكامل كلها لتأدية وظيفة التواصل "[20] .

من هنا يمكن القول عن الوصف اللغوي عند الوظيفيين عموما إنما المراد به ههنا هو وصف معرفة المتكلم – السامع للغته أي قدرته اللغوية، و ليس الحديث في هذا الجزء مفضيا إلى بحث المقارنة بين نظرة الوظيفيين وغير الوظيفيين لهذه القدرة ، إنما مدار الأمر فيه إلى ما يستهدفه الوصف اللغوي عند الوظيفيين ، لذا سنجد أنفسنا أمام مشروع (سيمون ديك) في النحو الوظيفي و هو الذي يسوّغ لحديثه عن هذه القدرة بما يصطلح عليه بـ (الكفاءة التواصلية) ، وهو ما يستدعي محاضرة كاملة سنخصصها لمشروع هذا الأخير على اعتبار أن نظرية النحو الوظيفي أخذت نضجها معه ، بل استكملت ضوابطها التأسيسية ضمن جهوده .

[20] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري - ص : 56 .

مصادر المحاضرة :

1/ - ماريآن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر . محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 .

2/ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط1/ 2004 : ينظر تمهيد صاحب الكتاب .

3/ - محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط2/ 2004 .

4/ - ك . اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر : محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2007 .

5/ - جيوفري ليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2013.

6/ - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) /دار الطليعة – بيروت /2005 ..

7/ - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري - دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت - 2010

المحاضرة الثالثة: بين الوظيفة والوظيفية

تمهيد :

والمقصود ههنا بنظرية النحو الوظيفي هو النحو الذي تمثّله جهود الباحث (سيمون ديك) المقترح سنة 1978 كمشروع يؤسّس للنحو و ينظم مكوناته، و ما عرض له الباحث أحمد المتوكل – كما ذكرنا سابقا - بتفصيل يغني عن العودة إلى غيره خاصة في كل ما قدّم و درس ، و ما هو من جملة ما يكتفي به الدارس في مثل هذه الأنحاء ، و باختصار يمكننا تقديم صياغة النموذج العام لهذا النحو و أهم المبادئ التي يعتمدها .

المبادئ الوظيفية[21]:

و هي بمثابة الأصول التي سنها (سيمون ديك) استقراء من الواقع التواصلي لبعض اللغات الطبيعية :

* أن الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل و الإبلاغ .

* إن بنية اللغة ترتبط بوظيفتها ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة .

*إن النحو الأكفى (أي النحو المؤسس تداوليا) هو النحو الذي يسعى إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات : الكفاية النفسية ، و الكفاية النمطية و الكفاية التداولية .

* إن موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم - المخاطب .

وبهذه المبادئ الممثلة في حقيقتها لجملة موسَعة من المنطلقات و الإجراءات التي صاغها الباحث أحمد المتوكل[22] فيما يزيد عن ثلاثة عشر عنصرا كفيلا بأن يحدد الإطار العام للنموذج الوظيفي لـ (سيمون دك) إذ يتم بها اشتقاق الجملة عبر البنيات الثلاثة :

---

[21] - د . مسعود صحراوي : مقال " من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي - علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز " ضمن مجموعة بحوث محكمة " التداوليات و تحليل الخطاب " - إشراف و تقديم : د / حافظ إسماعيلي علوي و زميله، دار كنوز المعرفة / الأردن - ط1/ 2014 - ص : 668 .

[22] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 137 . 139 .

- البنية الحملية ممثل فيها لـ: الخصائص الدلالية .
- البنية الوظيفية ممثل فيها لـ: الخصائص الوظيفية .
- البنية المكونية ممثل فيها لـ: الخصائص الصرفية - التركيبية .

كما يتم بناء هذه البنيات الثلاثة بتطبيق ثلاثة أنساق من القواعد :

قواعد الأساس ، و قواعد إسناد الوظائف التركيبية و التداولية ، و قواعد التعبير .

وبالعودة إلى ما سبق من تحديد للقدرة التي يبحثها النحو الوظيفي في نموذجه الموسع تأتي الإشارة إلى القدرة التواصلية التي مرت معنا مع هايمز وهي (وصف القدرة التواصلية) الأمر الذي يحيلنا مع سيمون ديك إلى التفكير في نحو وظيفي خطابي .

النحو الوظيفي الخطابي عند سيمون ديك :

وهنا تجدر الإشارة إلى – المقال السابق[23] - عندما دافع سيمون ديك في كتابه الأول (ديك 1978) عن أن القدرة التواصلية وليس القدرة النحوية هي الجهاز الذهني الذي يمكن المخلوقات البشرية من التواصل بينها بواسطة العبارات اللغوية. ولأن الملكة التواصلية أشمل من الملكة النحوية بل تحتويها، فإن نِتاجها هو العبارات اللغوية المستعملة في مقامات تواصلية معينة، وليس الجمل المجردة.

ومن أجل فهم بنية هذه الملكة ومكوناتها وطريقة عملها، من الضروري دراسة العبارات اللغوية التي تصدر عن هذه الملكة، ويستعملها المتكلم بصورة واقعية. ولذلك، أعلن ديك (1978: 15) منذ البداية أن النحو الوظيفي لا يمكن أن ينحصر في وصف بنية الجمل اللغوية.

وإذا كان ديك قد ركز في كتابه الأول على العبارات اللغوية البسيطة وخصص الكتاب الثاني للعبارات اللغوية المعقدة (1989 و1997)، فإن ذلك لا يقوم دليلا على اعتبار النحو الوظيفي نحو جملة، وذلك استنادا إلى المعطيات الآتية :

أولا. تتميز الأمثلة اللغوية التي يوردا ديك بميزتين على الأقل: تتمثل أولاهما في ارتباطها بمقامات تواصلية معينة تُجليها المظاهر التداولية المتعلقة بالقوة الإنجازية وبالوظيفتين التداوليتين المحور

[23] - عز الدين البوشيخي : المقال السابق " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " .

والبؤرة؛ حيث تضطلع القوة الإنجازية ببيان توجيه المتكلم لمضمون كلامه على سبيل الإخبار أو الاستفهام أو التعجب أو الإنكار أو الاستنكار أو الاستهزاء...، وحيث تضطلع الوظيفة التداولية المحور ببيان المعلومات التي يتقاسم كل من المتكلم والمخاطب معرفتها والواردة في العبارة اللغوية، وتضطلع الوظيفة التداولية البؤرة عموما ببيان المعلومات الجديدة التي يقدمها المتكلم لمخاطبه في مقام تواصلي معين.

وتتمثل ثانيتهما في إيراد أمثلة لغوية لها أرباض خارجية مثل:

1. يا أحمد، هل ما زلت على نية السفر؟

2. كتابك، قرأت نصفه.

3. قابلت أخاك، الشاعر.

وهي الأمثلة التي تعكس التفاعل القائم بين المتكلم والمخاطب في مقام تواصلي معين، كالعبارة اللغوية (1) التي ينتجها المتكلم بمكون المنادى الذي يلفت انتباه المخاطب إلى المتكلم، وكالعبارة اللغوية (2) التي ينتجها المتكلم بمكون المبتدإ الذي يحدد مجال الخطاب قبل إنتاج ما يتعلق به، وذلك لشد انتباه المخاطب إلى موضوع الخطاب، وكالعبارة اللغوية (3) التي ينتجها المتكلم بمكون الذيل لإحداث تغيير في المعلومات التي قدمها المتكلم إلى مخاطبه، موضحا أو مصححا أو معدلا.

ويدل ذلك على أن المعطيات اللغوية التي ينشغل بها اللساني معطيات مستمدة من مقامات تواصلية تُستعمل فيها، ومرتبطة بالتفاعل الكلامي القائم بين المتكلم والمخاطب لحظة إنتاجها. ولذلك، فالقول إن النحو الوظيفي انتقل من كونه نحو جملة إلى نحو خطاب ليس قولا دقيقا؛ لأنه لم يكن يوما نحو جملة كما بينا.

ومن الدلائل الإضافية أن رصد الأدوار التي تقوم بها الوظائف التداولية المحور والبؤرة بخاصة في سيرورة الخطاب وتماسكه أدى بصورة طبيعية إلى الانشغال بنصوص سردية وحوارية وغيرها، كما دعا إلى ذلك ديك (1989) ومحصه مكنزي وكيزر (1990) وقام به المتوكل (1993). وأصبح واضحا أن

مستعملي اللغة لا يتقيدون بإنتاج جمل لغوية في تفاعلهم الكلامي، وإنما ينتجون بنيات لغوية أكبر وأعقد، كما صرح بذلك ديك في الفصل الذي عقده للحديث عن نحو وظيفي للخطاب (ديك 1997ب) .

في نقد المبادئ الوظيفية :

و الذي تجدر الإشارة إليه هو عزوف الكثير من الدارسين المعاصرين المهتمين بالحقول الوظيفية عن مسألة هامة و في غاية الضرورة و هي " عدم التكافؤ الوظيفي بين هذه المبادئ ، إن من جهة القيمة النظرية ، و إن من جهة البعد الوظيفي و إن من جهة الإجراء التحليلي العملي ، كما أنها ليست ذات طبيعة واحدة ، فبعضها عبارة عن منطلقات مبدئية ، كالمبدأ الأول المتعلق بالوظيفة الأساسية للغات الطبيعية ، و بعضها عبارة عن غايات يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيقها ، قد يصل إليها و قد لا يصل إليها إطلاقا ، كالمبدأ الثالث المتعلق بالكفايات الثلاث ... و بعضها مجرد سمة تمييزية موضوعية ... كالمبدأ الرابع "[24].

أما عن التصور القاضي بتبني الكفاية النفسية من حيث هي إحدى مباحث النحو الأكفى بالإضافة إلى الكفاية النمطية والكفاية التداولية ، فإن ديك يتبنى الرأي الذي يرى من خلاله مخالفة تشومسكي من جهة القدرة اللغوية والواقعية النفسية الملائمة ، إذ يتأسس النقد ههنا عند سيمون ديك فـ " لقد اعتمد تشومسكي الجمل المجردة معطياته الأساس التي تدله على مكونات الملكة النحوية وبنيتها وطريقة عملها. إلا أن النماذج النحوية التي أقامها لتمثيل هذه الملكة لم تحقق مطلب الواقعية النفسية، فاضطر إلى القول إن "مسألة الواقعية النفسية ليست، من حيث المبدإ، أكثر أو أقل حساسية من مسألة الواقعية الفيزيائية للبناءات النظرية التي يقيمها الفيزيائي" (تشومسكي 1980ب:192). ومعنى ذلك أن الواقعية النفسية ليست شيئا آخر غير التفسيرات التي يقيمها اللساني للظواهر اللغوية، وأن النحو الذي يرقى إلى الواقعية النفسية هو النحو الذي يساهم في

[24] - مسعود صحراوي : مقال بعنوان :" من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي – علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز " ضمن مجموعة بحوث مختلفة – التداوليات وتحليل الخطاب – دار كنوز المعرفة / الأردن -2014 . ص : 669 .

تفسير هذه الظواهر والأحكام اللغوية ، ومن الجلِيّ أن هذا التأويل لمفهوم الواقعية النفسية سَجَّل تراجع تشومسكي عن أعظم طموحاته العلمية؛ ذلك لأن هذا التأويل لا يسمح على نحو صحيح ودقيق بالمفاضلة بين الأنحاء على أساس الواقعية النفسية ما دامت الأوصاف اللغوية المبررة لسانيا لا يُشترط فيها أن تُماثل الأوصاف اللغوية القائمة في ذهن المتكلم أو في ملكته اللغوية. وهو تأويل يُفرغ افتراض القدرة من مضمونه، ولا يؤكد الدور الذي ينبغي أن يقوم به النحو في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية، حسب بريزنن وكابلن (1982)" [25].

على هذا الأساس يمكننا القول بأن ديك " اشترط في النحو الذي يحقق الكفاية النفسية أن لا يتعارض مع الفرضيات النفسية القوية القائمة حول معالجة اللغة، وأن يكون قادرا على الاندماج بصورة طبيعية في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية.

ويُعد السعي في تحقيق الكفاية النفسية من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور النحو الوظيفي الخِطابي. ويتمثل ذلك في المظاهر الثلاثة الآتية :

أ. مطابقة مراحل إنتاج الكلام وفق نماذج الإدراك.

ب. الفصل بين مستويي الدلالة والتداول، وإيلاء الأسبقية لتمثيل للمعلومات التداولية.

ج. التزام الواقعية في تحديد المعطيات اللغوية المتمثلة في الأفعال الخطابية.

... كما تمت صياغة هذا النحو بصورة تجعله وفيا لمبدإ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، وتجعله نحوا مؤسسا تداوليا حقا. حيث يشرف التداول على الدلالة، ويشرف كل من التداول والدلالة على التركيب، ويشرف كل من التداول والدلالة والتركيب على الصواتة. فالانطلاق في إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية، وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي، ثم يُنتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يُمثل للمعلومات الدلالية.

[25] - عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

والنحو الوظيفي الخطابي يكون بذلك قد حسم النقاش الدائر بين اللسانيين في نظرية النحو الوظيفي، والمتعلق بمحل التمثيل للمعلومات التداولية : أ في مستوى واحد حيث يمثل للمعلومات الدلالية ويمثل للمعلومات التداولية أيضا، أم في قالب تداولي مستقل؟.

ومن مظاهر قوة هذا النحو أن الفصل بين المستوى التداولي وبين المستوى الدلالي مكن من تميز المعلومات التداولية من المعلومات الدلالية وتفادي الخلط بينهما في التمثيل من جهة، ومكن من جهة أخرى من القدرة على معالجة أفعال خطابية تقوم بوظيفتها التواصلية إلا أنها فارغة دلاليا ... وإذا كان من السابق لأوانه الحكم ببلوغ هذا النحو درجة عالية في معيار الكفاية النفسية، فإنه من الواضح اقترابه الشديد من واقع المتكلم الفعلي؛ وذلك بأن حدد معطياته اللغوية في الأفعال الخطابية أيا كان تحققها كلمة أو مركبا أو جملة بسيطة ومركبة أو نصبا أو حوارا أو غير ذلك. والأفعال الخطابية هي في الواقع ما ينتجه المتكلم في تواصله مع الآخرين، ولا يتقيد بإنتاج نمط معين من أشكال التعبير كالجملة أو النص أو غيرهما. ومن هذه الزاوية، يكون نحو الوظيفي الخطابي متقدما على غيره من الأنحاء المماثلة " [26].

مصادر المحاضرة :

1/ د . مسعود صحراوي : مقال " من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي - علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز " ضمن مجموعة بحوث محكمة " التداوليات و تحليل الخطاب " - إشراف و تقديم : د / حافظ إسماعيلي علوي و زميله، دار كنوز المعرفة / الأردن - ط$_1$/ 2014 .

2/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية .

3/ عز الدين البوشيخي : المقال السابق " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " .

[26] - عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

المحاضرة الرابعة : موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي .

تمهيد :

في ظل الحديث عن " الوظيفية " و أهم مبادئها و المفاهيم التي أسست لها جدير بنا أن نأتي بالمقابلة بينها وبين الصورية أو غير الوظيفية من النظريات، و هو صميم العمل الذي يجعل الفارق بين نظرة الوظيفيين للغة تختلف عن نظرة الصوريين لها ، سواء تعلق الأمر بـ : الوظيفة ، أو بناء الأنحاء .

ليس الاعتداد بمثل هذه المقابلة بين الوظيفية والصورية على أنهما متناقضتان و لكن على أنهما مقاربتان لسانيتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا حسب طبيعة اللغة، فالتمايز بينهما يسوغ لنا أن نبحث فيما تأتلفان و فيما تختلفان .

1/ موضوع الوظيفية في مقابل الصورية :

و هو في مجمله مجموعة من الوجوه[27] :

- وجوه الائتلاف :

*أن موضوع جميع النظريات اللسانية هو اللسان الطبيعي.

*ليس همَ هذه النظريات وصف الظاهرة اللغوية فقط، بل محاولة تفسيرها .

*هدف هذه النظريات بحث ما يجمع اللغات الطبيعية من خصائص مشتركة أي البحث في (النحو الكلي) ثم في الأنحاء الفرعية الخاصة لوصف كل لغة.

*هدفها أيضا وصف قدرة المتكلم المفضية إلى الإنجازات في مواقف تواصلية معينة أي تصوغ أنحاء (قدرة) لا أنحاء (إنجازات).

*تفرد جميع هذه النظريات مستويات متفاوتة للتمثيل (للجوانب التركيبية و الدلالية و التداولية) .

[27] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – دار الكتاب الجديد المتحدة / بيروت – ط2/ 2010 – ص 14 -16 .

- وجوه الاختلاف :

* بالنسبة للغة :

- في النظريات غير الوظيفية نسق مجرد أهم وظيفة يؤديها التعبير عن الفكر .

- في النظريات الوظيفية اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي ، أي نسق رمزي أهم وظيفة يؤديها التواصل .

* بالنسبة لخصائص العبارات اللغوية : لا يمكن رصد هذه الخصائص إلا إذا ربطت بنية اللغة بوظيفة التواصل ، أي لابد من مراعاة سياقات الاستعمال بالنسبة للوظيفيين ، بينما عند غير الوظيفيين من السائغ أن يتم وصف خصائص العبارات اللغوية بمعزل عن سياقات استعمالها .

* بالنسبة للقدرة : عند الوظيفيين القدرة قدرة تواصلية لأنها معرفة المتكلم للقواعد المفضية إلى تحقيق أغراض تواصلية ، أما عند غير الوظيفيين فهي معرفته للقواعد اللغوية (الصرف) [تركيبية + دلالية + صوتية] .

* تعلم اللغة عند الطفل: عند غير الوظيفيين بحسب ما فطر عليه من مبادئ ، أما عند الوظيفيين فبحسب العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية و الوسائل اللغوية .

* بالنسبة للكليات اللغوية : في نظر غير الوظيفيين كليات صورية ، أما في نظر الوظيفيين فهي كليات صورية – وظيفية .

و بهذا يمكن أن نقول أن مدار الأمر كله في الفرق بين نظرة الوظيفيين للغة و غير الوظيفيين لها يكمن في " أنها نظام ذاتي الاستقلال عند الصوريين في حين يدرسها الوظيفيون في علاقته بالوظيفة المجتمعية "[28]، و على كل يجب مراعاة زاوية النظر عند كل واحد منها، فالذي يوجبه الاعتبار المتزن للغة يفضي بنا إلى النظر الداخلي لها من خلال وصف و تفسير خصائص اللسان الصورية ممثلة في (التركيبية و الصرفية و الصوتية)، ثم إلى النظر الخارجي من خلال البحث في نتائج التفاعل القائم بين المعنى و الاستعمال .

[28] - جيوفري ليتش : " مبادئ التداولية – " تر : عبد القادر قنيني – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2013 – ص : 65 .

2/ الوظيفة :

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانية الكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة ، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ و التواصل ، و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري "[29] ، أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال (وقد مرّ معنا في محاضرة سابقة جهود رومان جاكبسون ، كارل بوبر ، مايكل هاليداي) وأهم ماكان من نظرياتهم عن الوظائف وما استجلبتها من نقود .

أما بناء الأنحاء فيمكن أن ندرج لذلك محاضرات مستقلة ، خاصة منها ما يتأسس على الأنحاء المدمجة لمكونات تداولية ، وهي ما نعتد بها في الأساس ضمن زمرة الأنحاء الوظيفية .

3/ بناء الأنحاء :

يأتي سياق الحديث عن بناء الأنحاء كفارق بين الصوريين و الوظيفيين عندما نسلم بأن الاختلاف بين النظرتين لبنية النحو مرده إلى بحث كيفية بناء الجهاز الواصف للغة ، و كيفية تنظيم العلاقات بين أجزائه ، و أهم ما نعتبره نموذجا مفضيا إلى معرفة هذه (الأنحاء الوظيفية) هو ذلك الذي يتضمن مستوى قائم الذات في بحثه عن الخصائص التداولية لأنه الوحيد الذي يستطيع تمديد البنية التركيبية الصرفية للجملة ، و لنا أن نمثل لذلك بما يأتي :

- أنحاء ناتجة عن إدماج مكون تداولي (وظيفي)
- أنحاء وظيفية .

[29] - ماري آن بافو – جورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر . محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 – ص : 202 .

1-3 : أنحاء ناتجة عن إدماج مكون تداولي (وظيفي) :

و نمثل لهذه الأنحاء بنموذجين بسيطين يعدان الأساس في إسهام الجوانب التداولية في تحديد البنية التركيبية الصرفية لجمل اللغات الطبيعية ، أي ما من شأنه أن يكون مثبتا لعدم استقلال التركيب بالنظر إلى الدلالة و التداول[30] .

- النموذج الأول : البراغمانتاكس (الدلالة التوليدية) :

و يقوم هذا النموذج على مبدأين أساسيين هما :

* عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة .

* الطبيعة الدلالية للبنية مصدر اشتقاق .

و بهذا يصاغ النحو انطلاقا من هذين المبدأين كالآتي : " تشكل مصدرا لاشتقاق الجملة بنية منطقية – دلالية مصوغة طبقا لمنطق المحمولات ، تتضمن محمولا (فعليا أو اسميا أو وصفيا ....) يربط بين عدد من الموضوعات ... إذ تعد المحمولات في هذا النموذج وحدات معجمية مركبة ، يتعين التمثيل لها في البنية المنطقية الدلالية في شكل وحدات دلالية أولى "[31] .

- النموذج الثاني: التركيبيات الوظيفية :

و هو النموذج الثاني المقترح ضمن الأنحاء الوظيفية الساعية إلى تحليل البنية اللغوية في إطارها التواصلي ، إذ يعدها أصحابها " أحد حقول اللسانيات الوظيفية حيث تحلل البنيات التركيبية على أساس وظائفها التواصلية "[32] .

و من هنا يرى (كونو) أن " التركيبيات الوظيفية ليست مرتبطة بنحو بعينه لأن أي نحو يجب أن يفرد مستوى أو مستويات للقيود الوظيفية الضابطة لسلامة الجمل ، أو لسلامة السلاسل الجملية كما أن كل نحو يفيد من استخدام المنظور الوظيفي في تحليل الظواهر التركيبية "[33] ، أي يمكننا أن نعتبر النموذج المقترح هو عبارة عن بناء فسيح يدمج فيه كل ما له علاقة من أنساق أو قيود تفضي

---

[30] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 101 .

[31] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 101 . 102 .

[32] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 113 نقلا عن : - (functional Syntax - 1980) : kuno,S

[33] - المصدر نفسه : ص : 114 .

إلى وظيفة التواصل ، مما يتيح لمقترحه أن يورد مفاهيم عديدة تضبط القيود التي تخضع لها بعض القواعد التركيبية ، من هذه المفاهيم[34] :

* المعلومة القديمة : يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة القديمة إذا كان واردا في السياق السابق .

* المعلومة الجديدة : يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة الجديدة إذا لم يكن واردا في السياق السابق .

* المحور : يشكل محورا العنصر محط الحديث في الجملة .

* البؤرة : يشكل بؤرة في جملة ما العنصر الحامل للمعلومة الأجد .

و من هنا ، يمكننا القول بأن هذين النموذجين المقترحين يعدّان كنحوين يندرجان ضمن النظرية التوليدية التحويلية من وجهة وظيفية تتكفل التمثيل للخصائص التداولية في تحديد البنية اللغوية ، و التي تجمعهما نقاط اشتراك أهمها محاولة إدماج مكون تداولي (وظيفي) .

2-3 : أنحاء وظيفية :

إن جملة الأنحاء المشار إليها في هذا الجزء من المحاضرة هي ما عبَر عنها المؤلف بأنها " أنحاء مصوغة بدءا انطلاقا من منظور وظيفي معين "[35] .

و يأتي في مقدمتها :

- **أ/ الوجهة الوظيفية للجملة :**

تتحدد الوجهة الوظيفية للجملة من خلال المستويات المقترحة لتحليلها ، و هي : المستوى الدلالي ، و المستوى النحوي و المستوى الوظيفي ، إذ في المستوى الدلالي تتضمن الجملة (حدثا) و (مشاركين) ، و من أهم المشاركين (المنفَذ) و (المتقبَل) ، ثم تعد هذه المكونات الأساسية الثلاثة (المنفذ) و (المتقبل)

[34] - المصدر نفسه : ص : 114 .

[35] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 116 .

و (الحدث) فاعلا و مفعولا وفعلا على التوالي في المستوى النحوي ، أما في المستوى الوظيفي فتتضمن الجملة مكونين أساسيين هما : المكون المحور و المكون التعليق[36] .

يمكننا أن نمثل لذلك بالشكل الآتي : (ماري تضرب بيتر)[37]

مستويات التحليل للجملة :

- المستوى الدلالي : - المنفَذ : ماري
  - الحدث : تضرب
  - المتقبل (الهدف) : بيتر
- المستوى النحوي : - فاعل : ماري
  - فعل : تضرب
  - مفعول : بيتر
- المستوى الوظيفي : - المحور : الدال على ما شكّل محط الحديث (المنفذ ، الفاعل)
  - التعليق : الدال على ما يشكل الحديث ذاته (الحدث و المتقبل أو الفعل و المفعول) .

كما يضيف (فيرباس) في هذا المستوى من التحليل (المستوى الوظيفي) مفهوما يفضي إلى مدى إسهام مكونات الجملة في تقدم التواصل و تطوره ، ألا و هو مفهوم " الحركة التبليغية " كما يقترح (دانيش) في هذا المستوى تعريفا على أساس (المحور و التعليق) ، إذ يرى كل منهما [38]

- في نظر دانيش :

[36] - لقد أشار المؤلف في ظل حديثه عن هذه المرحلة من الدراسة (دراسة الوجهة الوظيفية للجملة) إلى تاريخها من خلال ما قدمه الألمان في القرن الماضي ثم أفكار تشكسلوفاكيين فيما بعد بما قدمه ماثيزيوس و دانيش و فيرباس فيما بعد – ينظر تفصيل ذلك في " اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – من ص : 117 إلى 121 " .

[37] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 117 - 118 .

[38] - ينظر تفاصيل أكثر : المصدر نفسه : من : 119 إلى 121 .

المحور : أ / المكون الذي يشكل موضوع الحديث .

ب / يحمل المعلومة المتقاسمة بين المتخاطبين أي التي يمكن استمدادها من السياق

التعليق : أ / الحامل للمعلومة الجديدة .

ب / الحامل لنبر الجملة .

- في نظر فيرباس :

المحور : المكون الآخذ لأدنى درجات الحركة التبليغية .

التعليق : المكون الآخذ لأعلى درجات الحركة التبليغية .

- **ب/ النحو النسقي :**

يأتي الحديث عن هذا النموذج فيما أشار إليه هاليداي في الوظائف الأساسية للغة و الممثلة بالوظيفة التمثيلية (الصورية) و الوظيفة التعالقبة و الوظيفة النصية أو التناصية ، و هي الوظائف التي يراها هاليداي من صميم النحو عنده إذ تعد من داخله فهي تنعكس لأنساق تطابقها على مستوى اللغة ، و هو الأمر الذي حدا به أن يجعل من هذه الأنساق وسائل لتأدية هذه الوظائف إذ " يطابق نسق التعدية الوظيفية التمثيلية ، و يطابق نسق الصيغة و المحور الوظيفيين التعالقية و النصية بالتوالي "[39] .

و من خلال إدراجنا للمثال الذي قدّمه الباحث أحمد المتوكل يمكننا الاكتفاء بالبنية الثالثة له ، إذ بالنظر إلى المثال (فتح خالد الباب البارحة بالمفتاح) [40] نجد :

[39] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 122 .

[40] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 124 .

نسق التعدية	فتح	خالد	الباب	البارحة	بالمفتاح
	حدث	منفَذ	متقبل	زمان	أداة
نسق الصيغة	صيغة	قضـية			
	محمول	فاعل	فُضلة	توابع	
نسق المحور		محور	تعليـق		
	معـطى	جـديـد			

و بهذا علينا أن نعود إلى فكرة جوهرية ساقت هذا النوع من الأنحاء إلى ساحة الدراسات الوظيفية ، فلا شك أن ما طوره هاليداي من مباحثه عن السياق في ظل حديثه عن الترابط اللغوي (الاتساق) هو من مشكاة واحدة ، إذ يحرص على ما نتوسل به من خلال هذه الأنساق و العناصر اللغوية ، لا يعني بالضرورة تمثيل هذه الوظائف بقدر ما يكون تمثيلا للسياق الاجتماعي الذي يفضي بمستعمل الخطاب إلى تأدية معانيه .

فالأمر عنده لا يتعلق بما يمكن أن نعده انعكاسا للسيرورة الاجتماعية أو التعبير عنها إنما " [حاصل] التمفصل بين المعطيات الاجتماعية و الصور اللسانية يتم بفضل ما يطلق عليه هاليداي الميتا - وظائف (فكرية ، بيشخصية ، نصية) ، و الميتا - وظائف بالنسبة إليه هي محاولة نظرية لإدراك العلاقة بين الصور الداخلية للسان واستعمالاتها ضمن سياقات الحياة الاجتماعية " [41] .

- **ج/ التركيب الوظيفي :**

و هو النحو الذي أشار إليه المتوكل مستندا فيه إلى ما قدمه (فان فالين و فوكي) عندما اقترحا الأبنية الثلاثة المنتجة للجملة ، و التي تتأسس عبر ثلاثة أنساق من القواعد ، حيث :

[41] - ماري آن بافو - جورج إليا سرفاتي : " النظريات اللسانية الكبرى " تر : محمد الراضي : ص : 228.

- البنية الدلالية ← تضطلع بـ ← قواعد دلالية .

- البنية التداولية ← تضطلع بـ ← قواعد تداولية .

- البنية (صرفية - تركيبية) ← تضطلع بـ ← قواعد صرفية - تركيبية .

و من التفاعل بين هذه القواعد الثلاثة يتضح أن " البنية الصرفية التركيبية في هذا النحو ناتجة عن التفاعل بين أنساق القواعد الثلاثة ، ... بتعبير آخر لا يعد التركيب ... مكونا مستقلا بل إنه على العكس من ذلك مكون يدخل في تفاعل مع المكونين الآخرين (الدلالي و التداولي) لإنتاج البنية الصرفية التركيبية "[42] ، ثم رابع هذه الأنحاء وهو (النحو الوظيفي) ممثلا في مشروع سيون ديك ، وقد مر معنا في المحاضرة السابقة .

مصادر المحاضرة :

2/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري

3/ جيوفري ليتش : " مبادئ التداولية – " تر : عبد القادر قنيني .

4/ ماري آن بافو – جورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر . محمد الراضي .

[42] - أحمد المتوكل . اللسانيات الوظيفية : ص : 126 ، كما ينظر تفاصيل هذا النحو من الأنحاء ضمن المصدر نفسه (ص : 126 . 136) .

المحاضرة الخامسة : القدرة التواصلية وضوابط الوصف اللغوي .

تمهيد :

يتأسّس الحديث في هذه المحاضرة على منحيين رئيسيين يعدّان عمود الأساس في النحو الوظيفي ، ألا وهما : القدرة التواصلية و الوصف اللغوي .

والجدير بالذكر أن هذين المنحيين و إن كان تقدم الإشارة إليهما إلا أن جوانب التوسع فيهما مظنة الكتب المتخصّصة وهي كثيرة .

1/ القدرة التواصلية :

القدرة التي يعنى بها الوظيفيون هي القدرة التواصلية بخلاف القدرة النحوية أو الذهنية المجردة ، لأنها معرفة المتكلم للقواعد المفضية إلى تحقيق أغراض تواصلية ، ففيم إذن تخالف القدرة التواصلية عند الوظيفيين القدرة النحوية ؟ .

يمكننا الإجابة على هذا التساؤل من خلال تصورنا للقدرة النحوية ثم أين يكمن التباين ، "تتضمن معرفة المتكلم /السامع للغته (قدرته) حسب تشومسكي القواعد النحوية ، ويقصد بها ... القواعد الصوتية – الصرفية والقواعد التركيبية والقواعد الدلالية ، باعتبار هذا الأخير من القواعد قواعد مرتبطة بالدلالة اللغوية الصرف ، أي القواعد المتعلقةبالصورة المنطقية ، للجملة . من هذا التحديد للقدرة اللغوية ، يتضح أن هذا المفهوم لا يشمل الجوانب الوظيفية أو التداولية " [43]. وهنا مع ذكرنا لهذا التصور إلا أن تشومسكي فيما بعد أشار إلى تعديل يدرج القدرة التواصلية (التداولية) كقدرة ثانية إلى جانب القدرة النحوية .

والذي تجدر إليه الإشارة ههنا بعد معرفة القدرة النحوية ، نبين فيما تباين التواصلية عند الوظيفيين ، ونحصره فيما يأتي[44] :

- يرى الوظيفيون أن الجوانب التداولية (الوظيفية) للغة تشكل جزءا من معرفة المتكلم- السامع المجردة للغته ، أي قدرته اللغوية وليست مجرد ظواهر إنجازية . بهذا المعنى تتضمن القدرة اللغوية

[43] -أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - ص: 82.

[44] - المرجع نفسه : ص : 83 وما بعدها .

بالإضافة إلى القواعد المرتبطة بالخصائص الصورية ...القواعد التداولية أي القواعد المتحكمة في ظواهر الاقتضاء والاستلزام الحواري والتبئير و توزيع المعلومات داخل الجملة وغيرها .

- إشكال (اكتساب اللغة) وأخذ حيزا كبيرا من الاهتمام عند الوظيفيين مثله مثل التوليديين ، إلا أن وجه الاختلاف عنهم يكمن في طبيعة المبادئ العامة التي تشكل الجهاز المتوسل به لاكتساب اللغة وطبيعة ما يكتسب .(إذ يعتبر جهاز الاكتساب عندهم نسق من المبادئ العامة التي تزوج بين الأغراض التواصلية الأساسية و الوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها هذه الأغراض).

2/ الوصف :

إن المراد بالوصف ههنا هو وصف معرفة المتكلم – السامع للغته أي قدرته اللغوية ، و ليس الحديث في هذا الجزء مفضيا إلى بحث المقارنة بين نظرة الوظيفيين وغير الوظيفيين لهذه القدرة ، إنما مدار الأمر فيه إلى ما يستهدفه الوصف اللغوي عند الوظيفيين ، لذا سنجد أنفسنا أمام مشروع (سيمون ديك) في النحو الوظيفي و هو الذي يسوغ لحديثه عن هذه القدرة بما يصطلح عليه بـ (الكفاءة التواصلية) و هي حاصل لتفعيل جملة من الملكات التي تحتاج إليها كليا [45] :

* **الملكة اللغوية :** و مقتضاها يستطيع مستعمل اللغة أن ينتج و يؤول عددا لا متناه من العبارات اللغوية ذات بنيات متنوعة و معقدة في مقامات تواصل عديدة .

* **الملكة الاجتماعية :** وهي ما يوجب للمستعمل ضبط وضع من يخاطب و ما بينهما من علاقات تواصلية ، فليس عليه أن يعرف ما يقول فحسب ، بل يجب عليه أن يعرف كيف يقول ذلك لمخاطب معين في سياق معين .

* **الملكة المنطقية :** و هي التي تعين مستعمل اللغة على أن يشتق معارف إضافية من معارف متوفرة لديه مستندا إلى قواعد منطقية كالاستدلال مثلا ، فبوصفه مزود بقواعد المنطق الاستنباطي يسهل عليه ذلك .

---

[45] - أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البنية و النمط - دار الأمان / الرباط و منشورات الاختلاف / الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت ط1/ 2010 – ص : (13 – 15) .

* **الملكة الإدراكية :** و هي ما يستطيع به مستعمل اللغة إدراك محيطه فينشئ معارف جديدة ليستعملها في إنتاج اللغة و فهمها .

* **الملكة المعرفية :** و هي التي تقدر المستعمل على تكون مخزون منظم من المعارف و على استعمالها و استحضارها متى شاء في إنتاج أو فهم العبارات اللغوية .

هذا عن تصور (سيمون ديك) لمفهوم (الكفاءة التواصلية) ، و منها يمكننا أن نتمثل معه نموذج مستعمل اللغة و قدرة (المتكلم-السامع) ، على هذا الاستعمال المفضي بنا إلى وظيفة التواصل التي تؤديها اللغة في صميم التفاعلات البشرية .

من هنا كان لزاما علينا أن نستدعي هذا النموذج و أن نعرف قوالبه – و إن كان ما أعده (ديك) يشكل في أصله قائمة مفتوحة تتيح إضافة قوالب أخرى - فمن جملة ذلك أن (سيمون ديك) يقترح خمسة قوالب :

- القالب اللغوي ، القالب المنطقي ، القالب الإدراكي ، القالب الاجتماعي ، و القالب المعرفي ، و لقد عبَر الأستاذ أحمد المتوكل عنها بأنها[46] :

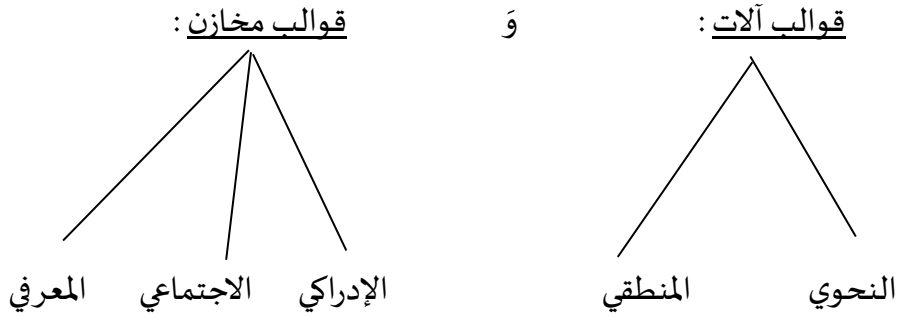

هذا من جهة ، و من جهة أخرى يجب التنويه بأن هذه الكفاءة التواصلية ليست نمطية بل مختلفة من إنسان إلى آخر ، فليس لها شكل واحد ، كما أن نمو هذه الملكات ليس متزامنا إنما الملكة اللغوية هي السابقة لكل هذه الملكات فالطفل مثلا نجد النزوع التواصلي عنده أسبق حتى من المكلة اللغوية .

و مما يتيح الإضافة إلى حاصل هذه القوالب ما يصطلح عليه المتوكل بالقالب (الفني أو الشعري)[47] و هو قالب للملكة الشعرية التي تشكل جزءا من قدرة المتكلم-السامع اللغوية التي لا تخص مستعملا دون آخر .

---

[46] - أحمد المتوكل : الخطاب و خصائص اللغة العربية - ص : 15 .

مصادر المحاضرة :

1/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية ..

2/ أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البنية و النمط - دار الآمان / الرباط و منشورات الاختلاف / الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت ط$_1$/ 2010 .

[47] - المرجع نفسه : ص : 15 .

المحاضرة السادسة : تنظيم مستعمل اللغة الطبيعية و مشروع النحو القالبي .

تمهيد :

ويندرج الحديث ههنا جزئيتين أساسيتين من مشروع سيون ديك في النحو الوظيفي سواء تعلق الأمر بصيغة النحو الوظيفي المعيار ، أو بصيغة نحو الخطاب الوظيفي ، والذي يعنينا من هذه المحاضرة : ماهو نموذج مستعمل اللغة الطبيعية؟ وما مناط النحو القالبي ؟ .

وسنحاول تفصيل هذا الأمر كما تبين مع الأستاذ أحمد المتوكل ثم نتبين من خلال طرحه مايقوم على أساسه تصور ديك في الصيغتين ، مكتفين في ذلك بما تنطوي عليه النظرية دون التطبيق .

1/ مستعمل اللغة الطبيعية [48]:

إذا كنا قد عرفنا ما تتأسس عليه طبيعة القدرة في موضوع الوصف اللغوي – كم أشرنا إلى ذلك آنفا- وهي القدرة التواصلية المتوافرة لدى مستعمل اللغة الطبيعية فإن نموذج مستعمل اللغة الطبيعية يصاغ على أساس أنه جهاز قالبي يتضمن على الأقل خمسة قوالب يفي كل قالب منها بوصف ملكة من الملكات الخمس .

* **الملكة اللغوية :** و مقتضاها يستطيع مستعمل اللغة أن ينتج و يؤول عددا لا متناه من العبارات اللغوية ذات بنيات متنوعة و معقدة في مقامات تواصل عديدة .

* **الملكة الاجتماعية :** وهي ما يوجب للمستعمل ضبط وضع من يخاطب و ما بينهما من علاقات تواصلية ، فليس عليه أن يعرف ما يقول فحسب ، بل يجب عليه أن يعرف كيف يقول ذلك لمخاطب معين في سياق معين .

---

[48] - ينظر تفصيل ذلك عند أحمد المتوكل :

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية والتمثيل الدلالي التداولي) – دار الأمان /الرباط -1995 – ص : من 22 إلى 32 .

- الخطاب وخصائص اللغة العربية (مصدر سابق) – ص : من 13 إلى 16

* **الملكة المنطقية :** و هي التي تعين مستعمل اللغة على أن يشتق معارف إضافية من معارف متوفرة لديه مستندا إلى قواعد منطقية كالاستدلال مثلا ، فبوصفه مزود بقواعد المنطق الاستنباطي يسهل عليه ذلك .

* **الملكة الإدراكية :** و هي ما يستطيع به مستعمل اللغة إدراك محيطه فينشئ معارف جديدة ليستعملها في إنتاج اللغة و فهمها .

* **الملكة المعرفية :** و هي التي تقدر المستعمل على تكون مخزون منظم من المعارف و على استعمالها و استحضارها متى شاء في إنتاج أو فهم العبارات اللغوية .

وعلى هذا الأساس نتعرف على مكونات نموذج مستعمل اللغة الطبيعية وهي القوالب والتي بيّنا فيما سبق أنها قوالب تضطلع بوصف الملكات السابقة (مع إمكانية إضافة ملكات أخرى أشار إليها المتوكل كالملكة الشعرية مثلا) ، تتحدد هذه القوالب في :

- القالب الاجتماعي .
- القالب المعرفي .
- القالب النحوي .
- القالب المنطقي .
- القالب الإدراكي .

كما افترض المتوكل اشتمال كل قالب على قوالب فرعية ، ف**(القالب النحوي)** مثلا يتألف من ثلاثة قوالب :

1- القالب الذي يتكفل ببناء البنية التحتية مصدر الاشتقاق .
2- القالب الذي يضطلع بنقل هذه البنية إلى بنية مكونية .
3- القالب الذي يقوم بتحديد الصورة الصوتية لهذه البنية .

و**(القالب المنطقي)** يتضمن خمسة قوالب فرعية :

1- قالب الحدود.

2- قالب المحمولات .

3- قالب الحمول .

4- قالب القضايا .

5- القالب الإنجازي .

كما أضاف المتوكل إلى ذلك قالبا فرعيا آخر(القالب النصي) وهو ما يضطلع برصد الاستدلالات المنطقية التي تقوم بين معلومات تنتمي إلى قطع مختلفة من نفس النص .

أما **(القالب الاجتماعي)** ، فيمكن أن يتضمن أيضا ثلاثة قوالب فرعية :

1- قالب العناصر الاجتماعية – الثقافية الكلية .

2- قالب العناصر الاجتماعية – الثقافية العامة .

3- قالب العناصر الاجتماعية – الثقافية الخاصة .

وهكذا مع ما تبقى من القوالب واشتمالها على قوالب فرعية .

ومما يستدعي الذكر ههنا جملة الملاحظات التي سطرها المتوكل عن هذه القوالب وتفريعاتها ، إذ يرى :

1- في سياق الانفتاح الذي يمكن من خلاله إضافة قوالب أخرى يأتي الحديث عن إضافة قالب سادس يمكن الاصطلاح عليه ب القالب الفني / الشعري أو القالب التخييلي – بحسب التفريق بن الاختيارين المتوكل في الأولى و عز الدين البوشيخي في الثانية - .

2- يعتد بالتمثيل لجملة الخصائص التداولية (القوة الإنجازية والوظائف والوجوه) داخل القالب النحوي ذاته .

3- القالب المعرفي هو المصب المتنامي المنتقلة إليه جملة المعارف من القوالب الأخرى .

4- عدم تساوي القوالب الخمسة من حيث الاشتغال سواء من في عمليتي إنتاج الخطاب أوفهمه لا كمّا ولا كيفا .

5- القالب النحوي يشكّل الوضعية المركزية والقوالب الأخرى ذات أدوار مساعدة حسب نمط الخطاب ، كما أن حضوره يعدّ حضورا دائما في العمليتين (إنتاج الخطاب وفهمه).

6- تشكل القوالب في عمومها فئتين من القوالب (قوالب آلات : القالب النحوي والقالب المنطقي ، وقوالب مخازن : القالب المعرفي والإدراكي والاجتماعي) .

2/ وظائف القوالب [49]:

قبل أن التطرق إلى الوظائف التي تضطلع بها القوالب ، يجب التنويه بما يلي :

- أن القالبية تفترض استقلالية كل قالب عن القوالب الأخرى من حيث الموضوع ومن حيث القواعد والمبادئ .
- ضرورة انفتاح كل قالب على تلك القوالب للتفاعل معها في وصف ظواهر معينة (وهو تفاعل بشروط) .

<u>ملاحظة :</u>

يمكن في بعض الحالات اشتغال جميع القوالب الخمسة عند تأويل عبارة لغوية ما (يمكن تفصيل ذلك من خلال المثال الذي اقترحه المتوكل : هل حصلت على كتاب ديك الأخير؟) .

ويمكن في بعض الحالات أن لا تستدعي اشتغال القوالب الخمسة كلها ، ومن هذه الحالات أن تكون العبارة اللغوية المراد تأويلها :

- حاملة لجل المعلومات التي يقتضيها التأويل وهنا يمكن الاستغناء عن القالب المعرفي .
- أن تكون دلالة العبارة هي الدلالة المقصودة وهنا يمكن الاستغناء عن القالب المنطقي .
- أن تكون العبارة غير موسومة اجتماعيا وهنا يمكن الاستغناء عن القالب الاجتماعي .

يسوق المتوكل مثالا يبين من خلاله الحالات الثلاثة السابقة (أعرني كتاب ديك ، اللغوي الوظيفي الذي يحمل عنوان النحو الوظيفي والذي ظهر سنة 1989 ضمن منشورات فوريس بلون أصفر) .

[49] - أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية – ص : 24 وما بعدها .

وهنا يمكن أن نقول في هذا الصدد : **كلما كانت العبارة غنية من حيث المعلومات التي تحملها كان دور القوالب الأخرى غير القالب النحوي أقل اهمية ، وكلما افتقرت العبارة من حيث حمولتها الإخبارية كانت ضرورة اللجوء إلى هذه القوالب أو بعضها أكبر.**

على هذا الأساس يمكن أن نستنتج جملة الوظائف التي تضطلع بها هذه القوالب :

1- القالب النحوي : يتكفل بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها إنتاجا وتأويلا سليمين بالنظر إلى الموقف التواصلي . وتتم عمليتا الإنتاج والتأويل عبر القوالب الفرعية – كما أشرنا سابقا - .

2- القالب المنطقي : يقوم بمهمة اشتقاق بنيات تحتية من البنية التحتية المحددة في إطار القالب النحوي عن طريق قواعد استدلال ، وتشكل البنية المشتقة جزءا من التمثيل الدلالي – التداولي للعبارة اللغوية يؤخذ بعين الاعتبار لابالنسبة للتاويل الدلالي فحسب بل كذلك بالنسبة لبعض من قواعد التعبير(إسناد الوظائف التداولية ، إسناد النبر والتنغيم ...)التي تقتضي معلومات لا تتوافر غلا في هذه البنية المشتقة .

3- القالب المعرفي : ويضطلع بتخزين المعارف الواردة عليه من القوالب الاخرى وتنظيمها لاستعمالها حين الحاجة في تأويل العبارات اللغوية .

4- القالب الاجتماعي : ويقوم بتحديد الكيفية التي يجب أن يتم بها التواصل بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية التي تكتنفه .

5- القالب الإدراكي : يتكفل باشتقاق معارف من المدرك الحسي وتخزينها في القالب المعرفي قصد استعمالها غن دعت الحاجة في إنتاج و تأويل العبارات اللغوية .

أما فيما يتعلق بالشق الثاني من المحاضرة ، والذي مدارالأمر فيه حول موضوع (النحو القالبي) ، فإننا سندرجه ضمن حيثيات (القالب النحوي) وخصوصياته .

مصادر المحاضرة :

1/- أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية والتمثيل الدلالي التداولي) – دار الأمان /الرباط -1995 .

2/- أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية (مصدر سابق) .

3/ أحمد المتوكل : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي – دار الهلال العربية / الرباط 1993.

المحاضرة السابعة : القالب النحوي وخصوصياته في تمثيل اللغة .

تمهيد :

كنا قد تعرفنا فيما سبق على القوالب التي اقترحها سيمون ديك ضمن نموذج مستعمل اللغة الطبيعية ، وهي تلك القوالب التي تضطلع بوصف الملكات الخمس ، واليوم سنخصص هذه المحاضرة للقالب النحوي وأهم خصوصياته في تمثيل اللغة .

إذ سنشير أولا إلى مكمن الجدة للنموذج النحوي الوظيفي مع الأستاذ أحمد المتوكل من خلال (نموذج نحو الطبقات القالبي) ثم نعرج إلى ما اصطلح عليه في عنوان هذه المحاضرة بخصوصيات الاستعمال اللغوي للقالب النحوي .

1/ نموذج النحو القالبي ومكوناته [50]:

لقد استمرت عملية النمذجة استحداثا وتطويرا مع الأستاذ المتوكل منتقدا أستاذه سيمون ديك نقدا تكميليا ، إذ حاول وضع نموذجا ثالثا ينضاف غلى النموذجين السابقين مع ديك (النموذج النواة ، ونموذج مستعمل اللغة الطبيعية وقوالبه) اصطلح عليه نموذج نحو الطبقات القالبي الذي يتكون من بنيات أساسية و مستويات تشتغل داخلها في شكل قالبي طبقي .

- بنية الخطاب التحتية : وتتكون أساسا من ثلاثة مستويات :

1- مستوى بلاغي (يتضمن ثلاث طبقات تمثل للمركز الإشاري ، ونمط الخطاب ، وأسلوبه) .

2- مستوى علاقي (ويتضمن طبقة الاسترعاء ، وطبقة الإنجاز ، وطبقة الوجه).

3- مستوى دلالي (ويرتكز على طبقات ثلاث هي الطبقة التأطيرية ، والتسويرية ، والوصفية).

وتنقل البنية التحتية بمستوياتها الثلاثة عبر قواعد التعبير إلى بنية سطحية تخضع للقواعد الصوتية المسؤولة عن تأويلها الصوتي .

لقد حاول المتوكل بهذا إضافة هذا النموذج القالبي الذي يقوم على اشتغال قوالب النموذج في شكل طبقات تتضمن كل واحدة منها على الاخرى وتندرج فيها ، محددا - كما أسلفنا - مكوناته:

---

[50] - حفصة عيساني و غنية بوحوش : مقال بعنوان : نموذج نحو الطبقات القالبي لأحمد المتوكل وتنميط اللغات – مجلة لغة – كلام / جامعة غليزان – منشور 2021/06/05 .

- **البنية التحتية** : وهي بنية وظيفية غير مرتبة يمثل فيها للوظائف الدلالية والوظائف التداولية ، وتضم شبكة من العلاقات الدلالية والتداولية تقوم بين وحدات معجمية ، المحمول وحدوده ، دون أن تربط بين هذه الوحدات أي علاقة تراتبية تتخذ دخلا لمجموعة من القواعد تنقلها إلى بنية سطحية مرتبة . ، وتتحدد مستوياتها بـــ :

- المستوى الدلالي / التمثيلي : ويتضمن العناصر الذهنية التي من خلالها يتم تكوين الجملة قبل تمظهرها في هيئتها الصوتية او الخطية وتندرج البنية الحملية في مستوى أكبر منها وهو المستوى التمثيلي ، والذي يندرج بدوره ، مع نظيره العلاقي في البنية التحتية ككل ، ويعدّ (المعجم) المخزون الدلالي ذو الخصائص الدلالية والذي يتضمن رصيد المفردات الأصول لدى متكلم اللغة الطبيعية في بيئته . فهو أهم عنصر ضمن البنية التحتية ، ينضاف إليه (قواعد التكوين أو التأسيس) والتي تضطلع بمعية المعجم باشتقاق المفردات غير الأصول من الأطر الحملية للمفردات الأصول ، فينتج عن ذلك إطار حملي لمفردة مشتقة .
- المستوى العلاقي / التداولي : ويحتوي على فحوى الخطاب : القضية المراد التعبير عنها ، فتحدد وجه العبارة والسمات الوجهية (سمات ذاتية : وسمات مرجعية) ، ومن متضمنات هذا المستوى ايضا (القضية) وهي التي تقوم بالربط بين ما يقوله المتكلم ن وما يدل عليه في واقعه . ينضاف إلى ذلك أيضا (القوة الإنجازية) أي كل إنجاز فعل لغوي معين .

- **البنية الوظيفية** : وهي بنية وظيفية تداولية خرج البنية الحملية ودخل البنية المكونية تضطلع برصد إسناد الوظائف التداولية والوظائف التركيبية إلى البنية الحملية ، فهي إذن بنية وسط تتشكل من انتقال البنية الحملية عند اكتمالها ، وتتمثل الوظائف المسندة إلى عناصرها في :

- الوظائف الدلالية : وتمثل دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة،فهي بذلك تواكب حدود الحمل في المستوى التمثيلي فيأخذ كل حد الوظيفة التي دل عليها في الحمل .

- الوظائف التركيبية/الوجهية : وتحدد وجهة الحدود التي تسند إليها ، والوظائف الوجهية هذه تحتوي على وظيفتين وحيدتين فقط هما الوظيفة الفاعل والوظيفة المفعول ، وقد اقتصر عليهما النحو الوظيفي التداولي – مع إمكانية إضافة وظائف أخرى إليهما - .
- الوظائف التداولية وهي الوظائف التي تحدد وضع المكونات ، وتسند إلى أحد عناصر الفحوى الخطابي أو إلى فحوى الخطاب برمته .

- **البنية الفوقية** : وتعد مستوى من مستويات التمثيل يرصد تحقق عناصر البنية التحتية صرفا وتركيبا وصوتا ، فهي إذن تعمل على تحقيق ما سبق إنجازه في البنية التحتية من أمور صرفية وتركيبية حتيمكن لها التحقق ، والخروج في الشكل الصوتي المعروف .

هذه نظرة موجزة عن نموذج المتوكل في النحو القالبي من حيث هو إضافة إلى النموذجين الولين لسيمون ديك ، مع ان ما يستثمر في الخطاب العربي من جهة النمذجة يمكن من خلال التنميط الذي يستبين تأرجحه بين الموافقة والمخالفة .

نعود إلى القالب النحوي والاستعمال اللغوي ، " يمد القالب النحوي المؤول بالمعلومات اللغوي الصرف وهي : معلومات صرفية – تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات ...) ومعلومات دلالية (معاني المفردات ، ومعنى العبارة ككل) ومعلومات تداولية (القوة الإنجازية التي تواكب العبارة ككل باعتيارها قوة إنجازية حرفية) فبفضل هذه المعلومات يستطيع المخاطب ان يدرك (المعنى اللغوي) للعبارة المعنية بالأمر "[51] .

مصادر المحاضرة :

1/ حفصة عيساني و غنية بوحوش : مقال بعنوان : نموذج نحو الطبقات القالبي لأحمد المتوكل وتنميط اللغات – مجلة لغة – كلام / جامعة غليزان – منشور 2021/06/05 .

2/ أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية (مصدر سابق)

[51] - أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية (مصدر سابق) .

المحاضرة الثامنة : الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي (البنية الحملية)

تمهيد :

سبق وأن عرفنا الصياغة العامة والتعريف المضبوط لنظرية النحو الوظيفي ، و هو النحو الذي تمثله جهود الباحث (سيمون ديك) المقترح سنة 1978 كمشروع يؤسس للنحو و ينظم مكوناته ، و ما عرض له الباحث المتوكل بتفصيل يغني عن العودة إلى غيره خاصة في كل ما قيم و درس (إذ سنحاول في هذه الدروس تقديم مجمل ما عناه النحو الوظيفي من خلال البنيات الثلاثة ضمن متعلقات اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – من الصفحات : 140 إلى 181) ، و ما هو من جملة ما يكتفي به الدارس في مثل هذه الأنحاء ، وكما مر معنا من خلال بنية النموذج العامة، وأهم المبادئ الوظيفية نحاول في هذه المحاضرات المتتالية تقديم البنيات الثلاث التي يتم اشتقاق الجملة عبر بنائها (البنية الحملية ، البنية الوظيفية ، البنية المكونية) .

- البنية الحملية ← (الممثل فيها لـ:) الخصائص الدلالية .
- البنية الوظيفية ← (الممثل فيها لـ:) الخصائص الوظيفية .
- البنية المكونية ← (الممثل فيها لـ:) الخصائص الصرفية - التركيبية .

كما يتم بناء هذه البنيات الثلاثة بتطبيق ثلاثة أنساق من القواعد :

قواعد الأساس ، و قواعد إسناد الوظائف التركيبية و التداولية ، و قواعد التعبير .

1- البنية الحملية[52] :

وينقسم الأساس على عنصرين اثنين هما :

- معجم .
- قواعد تكوين المحمولات والحدود .

والتمييز بين هذين العنصرين مقصود به عكس التمييز بين صنفين من المحمولات والحدود ، أي بين (الأصول للمعجم ، المشتقات لقواعد التكوين) .

[52] - ينظر تفاصيل هذه البنية ضمن (أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – مرجع سابق : ص : 140 وما بعدها)

- **المعجم :**

وتتكون القدرة المعجمية من صنفين من المعارف (معرفة مجموعة من المفردات يتعلمها تعلما قبل استعمالها ، ومعرفة نسق من قواعد الاشتقاق تمكنه من تكوين مفردات جديدة ... انطلاقا من الأصول المتعلمة) .

يمثل في المعجم للمفردات الأصول في شكل إطار حملي وهو بنية تتضمن المعلومات التالية :

- صورة المحمول .
- مقولته التركيبية (فعل ، اسم ، صفة ، ....) .
- عدد محلات موضوعاته .
- الوظائف الدلالية (منفذ ،متقبل ، مستقبل) التي تحملها محلات الموضوعات .
- القيود التواردية التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته .

ويمكن في هذا السياق العودة إلى ما مثل به المتوكل للإطارين الحمليين للفعلين (شرب ، أعطى) .

- **قواعد التكوين :**

تكوّن المفردات المشتقة عن طريق نسق من القواعد المنتجة تزامنيا.

تعدّ قاعدة اشتقاقية القاعدة ذات الخاصيتين :

- أن تربط بين مفردات متواردة تزامنيا (اي في المرحلة نفسها من مراحل تطور لغة معينة).
- أن تكوّن المفردات الناتجة عنها مجموعة غير محصورة العناصر (أي قاعدة منتجة) .

تأتي من القواعد التي تعد قواعد اشتقاق قواعد تكوين المحمولات (العلية ، العكسية ، الانعكاسية ، الدالة على المطاوعة ، قواعد انصهار الموضوع ، ... وغيرها) . أما الحدود فكما أسلفنا سابقا أيضا مثلها مثل المحمولات ، حدود أصول (يمثلها في المعجم) وحدود مشتقة (ويتم تكوينها بواسطة قواعد تكوين الحدود) .

ولقد مثّل المتوكل لقواعد تكوين المحمولات بالأولى منها (المحمولات العلية) بقاعدة الاشتقاق ن على أن يوسع الباحث مأموله منها ضمن سياقات البحث والتطبيق الذي سار به على باقي القواعد

الأخرى ضمن نسق الأفعال المشتقة في عمله الموسوم بـ(قضايا معجمية : المحمولات الفعلية المشتقة)

.

فمفاد هذه القاعدة " تكوين المحمولات العلية" أن المحمول العلّي يشتق من محمول غير علّي بتغيير صيغة المحمول – الدخل (أو إضافة فعل مساعد كما في اللغتين الإنجليزية والفرنسية مثلا) وإضافة موضوع واحد (الموضوع سْ) إلى موضوعات المحمول – الدخل والانتقال من معنى غير علّي إلى معنى علّي .

ففي العربية مثلا عند تكييف هذه القاعدة كانت القاعدة المسؤولة عن اشتقاق المحمولين (شرّب ، أشرب ، جعل يشرب) من المحمول (شرِب) .

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن التمييز بين المعجم وقواعد التكوين تمييز لما بين التمثيل لما يتعلمه المتكلم – السامع تعلما وما يقوم باشتقاقه طبقا لقواعد معينة، يكفل عكس القدرة المعجمية قدرة المستعمل للغة على تكوين مفردات جديدة بالنسبة إليه ، مفردات لم يسبق له أن استعملها .

بقي لنا ان نعرف أن مجموع ناتج المعجم وقواعد التكوين إطار حملي يمثل للخصائص الدلالية للمفردة ، هذا الإطار الحملي يعد مصدرا لبناء البنية الحملية التامة التحديد الذي يتم عبر المراحل الآتية :

أ/ البنية الدلالية للجملة – حسب النحو الوظيفي – تقوم على محمول يدل على واقعة (عمل ،أو حدث ،أو وضع ،أو حالة) وعدد من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول . هذه الحدود صنفان : (موضوعات وهي حدود تسهم في تعريف الواقعة ذاتها كالحد المنفذ والحدالمتقبل والحد المستقبل) ، ولواحق وهي حدود لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث الزمان والمكان والحال وغير ذلك .

هذا ما يمكن تلخيصه من الإطار الحملي إلى البنية الحملية ، بينما توسيع ذلك يتجسد أيضا في ما يتضمنه الإطار الحملي بالأساس فقد يكون :

- الإطار الحملي النووي وهو الذي لا يتضمن إلا الحدود الموضوعات (الموضوع بحسب المحمول) .
- الإطار الحملي الموسع وهو عندما يتخذ النووي دخلا لقواعد توسيع الأطر الحملية عن طريق إضافة محل حد لاحق او محلات حدود لواحق .

ب/ يشكل هذا الإطار الحملي – مهما كان نوويا او موسعا – دخلا لقواعد "إدماج الحدود "التي يتم بواسطتها ملء محلات الحدود بالمفردات الملائمة .

ج/ يتم الحصول على بنية حملية تامة التحديد عن طريق تطبيق مجموعتين اثنتين من القواعد :

- قواعد تحديد مخصص المحمول : وتعني المقولات الثلاث (مقولة الصيغة ، مقولتا الجهة والزمن) .
- قواعد تحديد مخصصات الحدود : وتعد في النحو الوظيفي المقولات (التعريف ، التنكير ، العدد ، الجنس ، الإشارة ، التسوير) .

ويمكن في هذا الصدد الرجوع إلى ما مثّل له الأستاذ المتوكل من اللغة العربية ، وما كان من ضبط للقواعد وفقا للقوانين التي رسّمها أهل الاختصاص .

مصادر المحاضرة :

1/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري (مصدر سابق).

2/ أحمد المتوكل : قضايا معجمية – المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية – منشورات الاختلاف 2015 .

المحاضرة التاسعة : الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي (البنيةالوظيفية).

تمهيد :

بعد التعرف على البنية الحملية في إطار تعريفنا بالجهاز النظري الواصف لنظرية النحو الوظيفي ، نحاول في هذه المحاضرة الانتقال إلى البنية الثانية من الأبنية المعتمدة في هذا الطرح ، ألا وهي البنية الوظيفية .

- **البنية الوظيفية[53] :**

عن طريق مجموعتين من القواعد تنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى بنية وظيفية ، هاته القواعد :

- قواعد إسناد الوظائف .
- قواعد تحديد مخصص الحمل (مؤشر القوة الإنجازية) .

1/ إسناد الوظائف :

لقد عرفنا سابقا جملة الوظائف في النحو الوظيفي ، وهي :

- وظائف دلالية (المنفذ ، المتقبل ، الأداة ....) ، ويتم التمثيل لها بدءا في الإطار الحملي ذاته.
- وظائف تركيبية (فاعل ، مفعول ...) ، وتسند بعد إتمام تحديد البنية الحملية ، عن تطبيق قواعد معينة ، فهي مفاهيم غير كلية بخلاف الوظائف الدلالية والتداولية بمعنى أن استخدامها غير وارد في وصف جميع اللغات الطبيعية إذ أن هناك لغات متعددة لا يحتاج في وصف خصائصها الوصف الكافي لاستعمال مفهوم (الفاعل) أو مفهوم (المفعول) ، بينما قد يكون في اللغة العربية مثلا ما هو محل الخصوصية في ورود كل من (الفاعل و المفعول) في وصف خصائص هذه اللغة (الرتبة والإعراب) . كيف إذن يتعامل النحو الوظيفي مع هذا الإشكال ؟ .

---

[53] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – ص : 148 وما بعدها .

يجب ههنا من اتخاذ الوظائف التركيبية كأواليات للوصف تستخدم عند الحاجة إليها ، أي استعمالها مرهون بأنحاء خاصة دون أنحاء ، أي بعبارة أخرى تطبيق قواعد إسناد الوظائف التركيبية وارد في نحو وملغى في نحو آخر، وبالتالي لا يتضمن نسق القوعد إلا قواعد التداولية منها .

- وظائف تداولية (بؤرة ، محور ...) وتسند أيضا بعد إتمام تحديد البنية الحملية ، عن تطبيق قواعد معينة ن أي مثلها مثل الوظائف التركيبية .

1-1 / إسناد الوظائف التركيبية :

رأينا فيما مر بنا مع البنية الدلالية للجملة – حسب النحو الوظيفي – أنها تقوم على محمول يدل على واقعة (عمل ،أو حدث ،أو وضع ،أو حالة) وعدد من الحدود تدل على المشاركين(أساسيين و ثانويين) في الواقعة الدال عليها المحمول .

يتم إسناد الوظيفتين الفاعل والمفعول باعتبار الحدين الضابطين للمنظور الوجهي في حين الحدود غير الوجهية بدون وظيفة تركيبية ، على هذا الأساس :

- تسند وظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة .
- تسند وظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة .

يمكن التمثيل بالجملتين :

ناقش الأساتذة أطروحة هذا المساء في المدرج (المنفذ والمتقبل / رئيسي وثانوي) .

نوقشت أطروحة هذا المساء في المدرج (المتقبل / رئيسي) .

1-2/ إسناد الوظائف التداولية[54] :

تمتاز الوظائف التداولية عن غيرها من الوظائف السالفة الذكر (التركيبية والدلالية) بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام ، وتنحصر في خمس وظائف (وظائف خارجية و وظيفتين داخليتين) بالنظر إلى وضعها بالنسبة للحمل .

- ما يسند إلى المكونات التي لاتنتمي إلى الحمل هو من الوظائف الخارجية (المبتدأ ، المنادى ، الذيل) .
- ما يسند إلى مكونات تعد عناصر من عناصر الحمل ذاته (البؤرة ، المحور) .

- المبتدأ : المكون الذي يدل على مجال الخطاب الذي يُعدّ الحمل الموالي واردا بالنسبة إليه ، ففي الجملة : هند عشقت عينيها . (تمثل "هند" مجال الخطاب أي "مبتدأ" ، و "عشقت عينيها "الخطاب أي "حمل ") .
- الذيل : المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل ، ففي الجمل : عشقت عينيها ، هند ./ سرني خالد ، تأدبه . / زارتني هند ، بل سعاد .

يشكل كل من المكونات (هند ، تأدبه ، سعاد) ذيلا على التوالي .

- المنادى : تسند هذه الوظيفة إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة ، ففي : يا حبيبي ..../ يا واقفا .../ يا عمرو ...هذه المكونات المتصدرة للجمل منادى .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المكونات تعتبر اختيارية ، لأنه يمكن أن يرد الحمل بدون أحدها ، أو بدونها جميعا .

- المحور : وتسند هذه الوظيفة إلى المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل ، فـ (خالد و الطفل) في الجملتين التاليتين محورا :

ماذا شرب خالد ؟ شرب خالد شايا .

من أتى بالطفل ؟ أتت بالطفل هند .

---

[54] - أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية – نشر دار الثقافة / الدار البيضاء – المغرب – ط1985/1 : الجزء الاول والثاني .

وفي ظل مناقشة وظيفة المحور والمكون (الفاعل) وما بينهما من خاصية مشتركة لأنهما تدلان غالبا على معلومة معطاة متقاسمة معرفتها بين المتكلم والمخاطب ، يمكن القول بأن الوظيفة المحور تسند في الحمل ذي الموضوع الواحد إلى هذا الموضوع نفسه وفي الحمل المتعدد الحدود إلى الموضوع المسندة إليه الوظيفة التركيبية الفاعل .

- البؤرة : ويقترح المتوكل في هذه الوظيفة التمييز بين بؤرة الجديد و بؤرة المقابلة ، ويمكن أن نعرف بؤرة الجديد بأنها تسند إلى الحد الحامل للمعلومة التي لا يتقاسم معرفتها المتكلم والمخاطب ، ففي الجملتين :

متى سألقاك ؟ تشكل (متى) بؤرة الجديد .

سألقاك غدا . تشكل (غدا) بؤرة الجديد .

بينما تسند بؤرة المقابلة إلى الحد الحامل للمعلومة التي يتردد المتكلم أو المخاطب في ورودها ، ففي الجملتين :

أقميصا اقتنت زينب ؟ تشكل أقميصا بؤرة المقابلة .

معطفا اقتنت زينب . تشكل معطفا بؤرة المقابلة .

2/ قواعد تحديد مخصص الحمل :

بعد أن رأينا قواعد إسناد الوظائف نتطرق في هذه الجزئية من المحاضرة إلى قواعد تحديد مخصص الحمل ، ولا بأس بالتذكير للنوعين من المخصصات (المحمولات والحدود) إذ قلنا :

- قواعد تحديد مخصص المحمول : وتعني المقولات الثلاث (مقولة الصيغة ، مقولتا الجهة والزمن) .
- قواعد تحديد مخصصات الحدود : وتعد في النحو الوظيفي المقولات (التعريف ، التنكير ، العدد ، الجنس ، الإشارة ، التسوير) .

بينما الذي يعنينا ههنا تحديد مخصص الحمل فهو قسم ثالث من المخصصات ومفاده (القوة الإنجازيةالتي تواكبه) .

ومثال ذلك ما هو مخصص الحمل في الجمل :

أ- شربت زينب فنجان قهوة . ـــــــــ هو القوة الإنجازية (الإخبار).

ب- هل شربت زينب فنجان القهوة ؟ . ـــــــــ هو القوة الإنجازية (السؤال).

ج - اشرب فنجان قهوة . ـــــــــــ هو القوة الإنجازية (الأمر).

والقوة الإنجازية تعد مخصصا للحمل لا للجملة ككل ، فهي تنصب عليه وحده ولاتدخل في حيزها المكونات الخارجية عن الحمل كالمكون (المنادى ، المبتدأ ، الذيل) .

ومن المقترحات التي قدمها المتوكل للتمثيل للقوة الإنجازية من حيث هي محدد مخصص الحمل في النحو الوظيفي ، جملة من الاعتبارات :

- يؤشر للقوة الإنجازية المواكبة للحمل بواسطة مخصص الحمل .
- انطلاقا من أن لبعض الجمل قوتين إنجازيتين (قوة إنجازية حرفية و قوة إنجازية مستلزمة) فإنه يؤشر للقوة الإنجازية الواحدة بمخصص حمل بسيط وللقوة الإنجازية المزدوجة بمخصص حمل مركب (يتألف من مؤشرين اثنين) .
- يتم التأشير للقوة الإنجازية بواسطة مخصص الحمل في مستوى البنية الوظيفية على أساس شروط مقامية معينة .
- يرصد الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة عن طريق شروط مقامية من قبيل ما اشترطه (جون سيرل) .

عموما يمكن تلخيص فحوى ما سبق من خلال مراحل اشتقاق الجملة في النحو الوظيفي من الإطار الحملي إلى البنية الوظيفية ، والترسيمة الآتية تمثل لذلك :

الأساس

إطار حملي نووي

توسيع الاطر الحملية

إطار حملي موسع

إدماج الحدود

تحديد مخصص المحمول

بنية حملية

قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية

تحديد مخصص الحمل

بنية وظيفية

مصادر المحاضرة :

1/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مصدر سابق .

2/ أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية – نشر دار الثقافة / الدار البيضاء – المغرب – ط1985/1 : الجزء الاول والثاني .

المحاضرة العاشرة : الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي (البنية المكونية)

تمهيد :

رأينا في المحاضرتين السابقتين مايتعلق بالبنية الوظيفية والبنية الحملية ، مما حدا بنا القول إلى ما تشكله البنية الوظيفية التامة التحديد ، وهوالمستوى التمثيلي الذي تتوافر فيه جميع المعلومات التي يستلزمها بناء البنية المكونية أي (قواعد التعبير) ، وهو موضوع هذه المحاضرة : ما المقصود بالبنية المكونية ؟ علام تتأسس ؟ وكيف يتحدد هذا النسق الذي تعتمده هذه البنية نسق قواعد التعبير - في مقابل الأنساق السابقة قواعد الأساس ن وقواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية - ؟ .

- **البنية المكونية[55] :**

والمقصود بها البنية الصرفية – التركيبية . ويتم بناء هذه البنية عن طريق إجراء النسق الثالث من القواعد (قواعد التعبير) التي تطبّق طبقا للمعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية .

قواعد التعبير تتشكل من :

1- قواعد صياغة الحدود .
2- قواعد صياغة المحمول .
3- قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية .
4- قواعد الموقعة .
5- قواعد إسناد النبر والتنغيم .

نحاول التفصيل لهذه القواعد دون التمثيل الموجود في كتب الأستاذ المتوكل ، إنما تجدر الإشارة إلى بعضها لطول متعلقاتها وشروحها .

[55] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – ص : 160 ومابعدها .

1/ قواعد صياغة الحدود :

تتكفل مجموعة قواعد صياغة الحد بنقل البنية الحملية والتي هي – كما رأينا – بنية منطقية تحتكم إلى (التقييد) إذ تستند إلى جملة من المقيدات لتقييد مجموعة من الأشخاص ، إلى بنية صرفية – تركيبية أو بعبارة أخرى إلى مركب .

وعليه فإن قواعد صياغة الحد هي القواعد التي تقوم بنقل الحد إلى مركب ، برصد العلاقة بين الأزواج :

- محمول (حد^1)، (حد^2)، ... (حد^ن)،
- محمول (مركب^1)، (مركب^2)، ... (مركب^ن)،

ويمكن من هذا التصور الدقيق لما يقوم عليه قواعد صياغة الحد لاعتبار هذا الانتقال للبنية الحملية ، وبالتالي نقل الحد إلى مركب ، تسجيل ما يلي :

- يتألف الحد إما من مقيد واحد أو من مقيدات متعددة .(كأن يكون مثلا المقيد الأول اسما ، في حين ترد المقيدات الأخرى صفات أو جملا:

- قابلت الفتاة الجميلة المهذبة / - قابلت الفتاة التي حيتنا أمس .)

وهنا تجدر الملاحظة الآتية :

- في الحالة الأولى يكون المقيد الوحيد رأس المركب فلا مقيد آخر ينازعه هذه الخاصية.
- في الحالة الثانية (حالة تعدد المقيدات) داخل الحد الواحد فإن المقيد الاول هو الرأس للمركب بينما المقيدات الأخرى فهي (فضلات) .

- يتم إدماج المخصص عن طريق إجراء قواعد من قبيل القاعدة (إدماج المعرف بالألف واللام)
- تترتب عناصر الحد وفق نمطين من اللغات :

- لغات ذات المجال القبلي وهي اللغات التي تتقدم فيها الفضلات على الرأس كاللغات التي يحتل فيها الفعل الموقع الأخير في الجملة .

- لغات ذات المجال البعدي فيتقدم فيها رأس البنية على الفضلات بخلاف سابقتها ، وإلى هذا النمط تنتمي اللغة العربية و دوارجها عموما .

- يستكمل المركب صياغته بأن تسند إليه حالة إعرابية . (وهنا تجدر الإشارة إلى جملة الوظائف التي تحدد الحالة الإعرابية التي تسند إلى الحد ، فبتفاعل الوظائف " الدلالية والتركيبية والتداولية " تتحدد الحالات الإعرابية مع خصوصية كل لغة) .

2/ صياغة المحمول :

ويصاغ المحمول بمجموعة من القواعد " قواعد صياغة المحمول " إذ تقوم هذه الأخيرة بنقله من الصورة المجردة ، إلى الصياغة الصرفية التامة . والصرف ههنا – في النحو الوظيفي - صرفان :

- صرف اشتقاق ويتموقع في مستوى قواعد تكوين المحمولات (أي يكون باشتقاق مفردات مصوغة على اوزان معينة من مفردات مصوغة على أوزان تعد أوزانا أصولا كالأوزان : فعَل ، فعِل ، فعُل).
- صرف تصريفي وبقواعده يتم تحديد مميزات على مستوى البنية المكونية . وتتكفل قواعد صياغة المحمول انطلاقا من المعلومات الواردة في البنية الوظيفية حول مخصص المحمول (الصيغي ، الجهي ، الزمني) بإعطاء الصيغة الصرفية التامة للمحمول المجرد ، كما تتكفل أيضا بإدماج الفعل الرابط في الجمل ذات المحمول غير الفعلي .

3/ إدماج مؤشر القوة الإنجازية [56]:

مؤشرات القوة الإنجازية هي النمط الثاني من المكونات التي تتصدر الحمل ، وتنتمي إليها مجموعة الأدوات التي تؤدي وظيفة التأشير للقوة الإنجازية المواكبة للحمل ، وفي اللغة العربية يشمل هذا النمط اداتي الاستفهام(الهمزة ،هل) والأداة الدالة على الاستفهام الإنكاري (أوَ)و الأداة (إن) .

---

[56] - أحمد المتوكل : - اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – مرجع سابق - ص : 169 وما بعدها .
- الخطاب وخصائص اللغة العربية - مرجع سابق – ص : 50 وما بعدها .

يتم إدماج الأدوات المؤشرة للقوة الإنجازية في مرحلة متأخرة من الاشتقاق ، عن طريق إجراء إحدى مجموعات القواعد التي تشكل نسق (قواعد التعبير) .

يبين الأستاذ المتوكل إدماج الأدوات المؤشرة للقوة الإنجازية من خلال استدلاله على ذلك في الكثير من المواضع في دراساته (دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي / الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط – من خلال الفصل الثاني " القوة الإنجازية من الاستلزام إلى التأصيل " / الجملة المركبة في اللغة العربية) .

ويمكن تحديد جملة من الوسائط التي تتحكم في التوزيع التكاملي لمؤشرات القوة الإنجازية في اللغة العربية ، تتمثل في :

- تظهر الأداة "هل" في الحمل ذي القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام والحامل باعتباره كلا الوظيفة التداولية بؤرة جديد .
- تظهر الأداة "الهمزة" في الحمل ذي القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام والحامل باعتباره كلا الوظيفة التداولية بؤرة المقابلة أو المتضمن لحد حامل لهذه الوظيفة .
- تتصدر الأداة "أوَ" الحمل الذي تواكبه قوتان إنجازيتان اثنتان : القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام والقوة الإنجازية المستلزمة الإنكار . ويدل على استلزام الجملة المصدرة بـ" أوَ" للإنكار امتناع تعقيبها بجملة نافية لمضمونها كما هو شأن الجمل الدالة على الاستفهام الصرف .
- تظهر الأداة "إنّ" في صدر حمل خبري مسندة إليه برمته الوظيفة التداولية بؤرة المقابلة ، وعليه يتحكم في إدماج هذه الأداة شرطان اثنان : (كون القوة الإنجازية الحرفية المواكبة للحمل القوة الإنجازية الإخبار / كون الحمل مسندة إليه الوظيفة بؤرة المقابلة) .

من هنا تصبح البنية متضمنة لجميع مكوناتها بعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية ، لكن ترتيب هذه المكونات مرهون بإجراء قواعد أخرى من قواعد التعبيرهي قواعد الموقعة .

4/ قواعد موقعة المكونات :

ترتيب المكونات عموما ناتج عن التفاعل القائم بين ثلاثة اتجاهات :

- نزوع المكونات الحاملة للوظائف نفسها إلى احتلال المواقع نفسها .
- نزوع بعض المكونات إلى احتلال الموقع الصدر في في الحمل (الأدوات المؤشرة للقوة الإنجازية و الأدوات الدامجة و المكونات المحاور و البؤر) .
- نزوع المكونات الاكثر تعقيدا إلى التاخر عن المكونات الأقل تعقيدا حيث ينزع المركب الاسمي إلى أن يتأخر عن الضمير وحيث تنزع الجملة المدمجة إلى أن تلي المركب الاسمي مثلا .

بالإضافة إلى أن هناك تفصيل هذه القواعد بتكيف اللغات الطبيعية هذه البنية الموقعية العامة، طبقا لمعطياتها و خصائصها . كما قد تخضع قواعد الموقعة إلى قيود من قبيل (قيد أحادية الموقعة وعامل التعقيد المقولي – كما اقترحه المتوكل- و رتبة المكونات المفضلة المستقلة عن اللغات – كما اقترحها سيمون ديك) .

5/ إسناد النبر والتنغيم :

تشكل االبنية المرتبة دخلا للمجموعة الأخيرة من قواعد التعبير التي يتم بواسطتها استكمال بناء البنية المكونية ، هذه المجموعة من القواعد تضطلع بإسناد النبر والتنغيم .

ولئن كان هذا الجزء من الدرس لم يأخذ حقه كسابقه من القواعد – في النحو الوظيفي - يكتفي الأستاذ المتوكل بإيراد فكرتين يقوم عليهما هذا الإسناد هما :

- يتم إسناد النبر المركزي في الجملة إلى المكون الحامل للوظيفة التداولية البؤرة (بؤرة الجديد أم بؤرة المقابلة) .
- يتم إسناد التنغيم وفقا لمخصص الحمل أي لمؤشر قوته الإنجازية أو لمؤشري قوتيه الإنجازيتين (أي الحرفية أو الحرفية + المستلزمة).

بهذا نكون قد أكملنا إجراء القواعد الخمس التي من خلالها يتم الحصول على بنية مكونية تامة التحديد يمكن أن تشكل دخلا للقواعد الصوتية التي تنقلها إلى جملة محققة ، ويمكن بالترسيمة الإضافية للبنية الوظيفية التي توقفنا عندها فيما سبق نحصل على :

بنية وظيفية

قواعد التعبير

قواعد صياغة الحدود

قواعد صياغة المحمول

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية

قواعد الموقعة

قواعد إسناد النبر والتنغيم

بنية مكونية

مصادر المحاضرة :

1/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – مرجع سابق -

2/ احمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية - مرجع سابق –دراسة في الوظيفة والبنية والنمط – من خلال الفصل الثاني " القوة الإنجازية من الاستلزام إلى التأصيل "

3/ أحمد المتوكل : الجملة المركبة في اللغة العربية .

المحاضرة 11 : النظرية القالبي و تطبيقاتها في الاستعمال اللغوي[57] :

تمهيد :

يتأسّس الحديث في هذه المحاضرة على منحيين رئيسيين يعدّان عمود الأساس في النحو الوظيفي ، ألا وهما : النظرية القالبي ، ثم استعمالاتها في الوسط اللغوي ، وذلك من خلال إشارات أو إضاءات تطبيقية قام بها بعض المتخصصين في هذا السياق على شاكلة الأستاذ البوشيخي والأستاذ المتوكل و غيرهما .

والجدير بالذكر أن هذين المنحيين و إن كان قد تقدم الإشارة إليهما إلا أن جوانب التوسع فيهما مظنة الكتب المتخصّصة وهي كثيرة ، ولهذا السبب عزونا جل ما جاء في هذه المحاضرة إلى ما تقدم به الكثير من الباحثين في الندوة الدولية المذكورة آنفا .

1/ - نموذج مستعمل اللغة الطبيعية ونحو الخطاب الوظيفي:

وهو ما قدمه الأستاذ (عز الدين البوشيخي) مستهلا الحديث عن هذا الموضوع كفاتحة بأربع إضاءات منهجية متآسرة :

أولاها عد النّحو الوظيفي نموذجا نحويا مستقلا، **وثانيتها** أن هذا النحو هو بمثابة قالب نحوي من داخل نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، **وثالثها** جسده في التعالق الحاصل بين نحو الخطاب الوظيفي ونموذج مستعمل اللغة الطبيعية، **ورابعها** خصه لإعادة الاعتبار لهذا النموذج بالذات.

وعبر تأطير منهجي عام لعرضه أوضح أن النحو الوظيفي منذ ظهوره على يد رائده سيمون ديك كان الهدف منه هو إقامة نموذج نحوي يرصد خصائص الخطاب الطبيعي عن طريق وصف كيفية

[57] - أشغال الندوة الدولية الموسومة بعنوان : " المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه" والتي قام بتنسيق أعمالها الدكتور عز الدين البوشيخي ، المنظمة من طرف مختبر البحث اللساني والبيداغوجي برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس يومي الجمعة والسبت 23 و 24 نونبر 2007.

استعمال هذا اللسان وتحديد الأهداف التواصلية التي يستعمل من أجلها، ولذلك عني سيمون ديك أيما عناية ببناء النموذج النحوي وتأسيسه على قاعدة تداولية، لكن مع تطور هذا النموذج (ديك 1989) ظهرت نزعة جديدة تمثلت في بيان أنه لا يمكن رصد وتفسير العمليات الذهنية . التي يتم بمقتضاها إنتاج اللغة . إلا برصد كل المكونات التي تتدخل في هذه العمليات، وفي هذا الإطار دعا سيمون ديك إلى إقامة ما سماه ب "نموذج التفاعل الكلامي" بين المتكلم والمخاطب يتم عبره الإنطلاق من المعلومات التداولية وتحديد مقاصدها وتأويلها .

وفي هذا الاتجاه بين الدكتور عز الدين البوشيخي أن ثمة قسمين من المعرفة، معرفة مشتركة ومعرفة غير مشتركة وهي التي لخصها الدكتور المتوكل ضمن مكونات التواصل اللغوي ووسائله وآلياته. فحديثنا عن النحو الوظيفي إذن هو حديث عن القالب النحوي داخل نسق التواصل العام وهو نموذج مستعمل اللغة الطبيعية.

في سياق هذه التحولات طرأت على هذا النموذج تعديلات هامة أبرزها :

- إدراج المتوكل "القالب الشعري" ضمن قوالب هذا النموذج بخلق علاقات بينه وبين باقي القوالب الأخرى .
- التعديل الهام الذي اقترحه البوشيخي (البوشيخي 1998) بتطوير ما سماه المتوكل ب "القالب الشعري" إلى "قالب تخيلي"، مميزا بين أصناف هذه القوالب (قوالب إمداد وقوالب تخزين).
- مركزية القالب المعرفي في هذا النموذج باعتباره المخزن لكل المعلومات، وبالتالي لا يمكن عده هامشيا أو مساعدا.

على إثر هذه التعديلات، انصب النقاش حول بنية النحو الوظيفي وعن العناصر المقصاة منها، ليبقى السؤال المطروح هو: هل يتم وضع القالب التداولي داخل هذه البنية أو إخراجه منها ليصبح مكونا من مكونات اللغة الطبيعية؟

فحوى هذا السؤال بينه المتوكل وهو يتحدث عن كيفية عمل القوالب، بحيث اعتبر القالب التداولي مستقلا عن القالب النحوي، أما نحو الخطاب الوظيفي فأساسه هو الفصل 18 من كتاب ديك (ديك 1997ب)، مبرزا أن النحو الوظيفي هو نحو خطاب لا نحو جملة، وإنما اعتني مرحليا بالجملة، وعني بعد ذلك بالخطاب. وفي ثنايا تحليله أفاد أن الدكتور المتوكل قال بفرضية التماثل البنيوي بين بنية النص وبنية الجملة، وبين المفرد والمركب الإسمي إلى أن توصل للبنية الخطابية النموذج وكل أشكال الخطاب غير اللغوي وتحققاته المختلفة.

ففي الأطوار الأولى للنحو الوظيفي أخرجت القوة الإنجازية من القالب النحوي واقترح معالجتها في القالب المنطقي، وفي مرحلة موالية أصبح القالب النحوي قالبا بنيويا صرفا وأصبح كل ما هو تداولي، موزعا بين القالب المنطقي والقالب التداولي. وقد أنهى عرضه بتسطير الخلاصات الآتية :

- لا توجد دلائل واضحة لدى كل من ماكنزي وهنخفلد يبرران بها اقتراح تقسيم نموذج القالب المعرفي لمكونين اثنين: المكون التصوري والمكون السياقي.
- إهمال القوالب الأخرى (القالب المنطقي، والاجتماعي، والتخيلي...) داخل نحو الخطاب الوظيفي.

يقترح الدكتور البوشيخي إعادة الاعتبار لكل مكونات نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، لأنها هي التي ترصد فعليا كل أنماط الخطاب اللغوي وغير اللغوي .

2/- محطات المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية :

عند محاولتنا استعراض أهم ما جاء عن أصول تشكل ونشأة المنحى الوظيفي في الدراسات العربية بشكل عام، وعن الموقع الذي يحتله هذا المنحى في خريطة البحث اللساني، دون أن ينسى أفضال هذا النموذج على النماذج اللسانية الأخرى باقتحامه مجالات ميدانية متشعبة تتمثل في استثمار هذا التوجه في ديداكتيكا اللغات والاضطرابات اللغوية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والترجمة... ستجد جهود الأستاذ أحمد المتوكل تتربع على هذا العرش متصدرة جل

المحاولات الجادة في هذا الصدد ، ومن بين ما أردنا الإشارة إليه ههنا وضمن هذه المنجزات الوظيفية مما ذكره الباحثون توظيفه في هذا الإطار (في ظل استغلال الوظيفية في الحجاج) ما يؤسس لطبقة قيود تضمن سلامة تكوين العبارات في المناقشات والمحاورات ، مما يجعلها تستجيب لضرورة تطوير أنساق منطقية غير صورية تروم الاستجابة لمقومات الخطاب الطبيعي ومقتضياته وضبط شروط تقويم الحجج.

وبهذه المعطيات المهمة فقد استشرف بحثه (خاصة هنا مع الأستاذ حافظ اسماعيلي العلوي في جهد عن الحجاج والمغالطة) بأسئلة إشكالية معلقة من قبيل:

- كيف نوظف اللغة في الحجاج؟
- وكيف يسخر النحو الوظيفي في دراسة التعالق بين الحجاج كاستراتيجية، وبين اللغة ليس كحمولة فقط بل كبنية؟
- وإلى أي حد تسعف آليات النحو الوظيفي في فك الحجاج المغالط؟
- ما هو نموذج مستعمل اللغة الطبيعية المحاجج؟
- ما هي القوالب التي تشغل في الخطاب الحجاجي؟
- وكيف تتعالق وهي تشتغل؟ وكيف يعبر الصرف والتركيب عن المقتضيات التي تأتيه من القالب المنطقي؟ .

والمتأمل لهذه الأسئلة يمكنه الجزم بأنها مواضيع بحث وإثارة ، يستطيع الباحث أن يتخذ منها فصولا مطولة للمناقشة والتمثيل . ومن اللافت للنظر أيضا لأحد أعمدة النظرية الوظيفية البروفسور لاشلن ماكينزي (Prof. Dr. Lachlan Mackenzie) الذي بحث فيه تنظيرا وتطبيقا إشكال "الوظائف التداولية بمعالجة الدكتور المتوكل، مراجعة وتقويم في إطار نحو الخطاب الوظيفي" راصدا لمجمل مستجدات نظرية نحو الخطاب الوظيفي في عدد من مستوياتها، مع استقرائه لبعض الظواهر اللغوية وخاصة الوظائف التداولية في اللغة العربية .

وعند التذكير بالإطار النظري المعتمد وهو نحو الخطاب الوظيفي في صيغة نحو قالبي طبقي كما هو عند الدكتور المتوكل (المتوكل 2003) بمستوياته وطبقاته. لكن هذه الهيكلة يقول عنها هنخفلد بأنها يخلفها محوران: محورسلمي ومحور علاقي يهم التعالقات الحاصلة بين طبقات المستوى الواحد، في هذا الصدد أردف المتوكل قائلا بأن توالي الطبقات أيل لقيود خطية وقيود سلمية تحكم تحديد مستوى معين لعناصر المستوى الذي يسلكه.

وفي الاخير يمكننا استنتاج أن نحو الخطاب الوظيفي برهن على نجاعته في وصف النصوص العادية أو الفنية وأتاح من الإمكانات ما لا تتيحه الأنحاء التقليدية، مستوثقة من أمر أن اللسانيات – وخاصة الوظيفية منها . وما أفادت به من أغراض ومقاصد يمكن أن تفي به فروع أخرى كالشعرية والنقد الأدبي وتحليل الخطاب .

ومهما يكن من أمر فإن أهم ما قدمه المتوكل عن المستوى العلاقي وصلته بالمستوى الصرف التركيبي في نحو الخطاب الوظيفي، هو أن المكون الصرفي في هذا النحو يتخذ وضعا خاصا غير الوضع الذي كان يحتله في النماذج الوظيفية السابقة، إذ يربط هذا المكون ربطا مباشرا بالمستوى العلاقي دون العبور من المستوى التمثيلي. على اعتبار أن الصرف في اللغة العربية مؤهل للقيام بدوري تحقيق السمات التمثيلية (الجهة، الزمن، الوجه، الوظائف) وتحقيق السمات العلاقية (الوظائف التداولية والقوى الإنجازية) وبخاصة الطبيعة التواصلية لوحدات الخطاب والعلاقات القائمة بينها، مستهدفا في السياق ذاته الوقوف على الدور العلاقي الذي يقوم به المكون الصرفي في اللغة العربية مع التركيز على الوجه Modality والإعراب والصلة .

مصادر المحاضرة :

- أشغال الندوة الدولية الموسومة بعنوان : " المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه" والتي قام بتنسيق أعمالها الدكتور عز الدين البوشيخي ، المنظمة من طرف مختبر البحث اللساني والبيداغوجي برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس يومي الجمعة والسبت 23 و 24 نونبر 2007. (تغطية إدريس عمراني 2017/07/25) .

المحاضرة 12 : نحو الخطاب الوظيفي

تمهيد :

كنا قد أخذنا في محاضرات سابقة عند فاتحة هذه الدروس ما يتعلق بنحو الخطاب الوظيفي ، وذلك فيما كتبه الباحث عز الدين البوشيخي في مقال بعنوان (لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي) وهو بحثٌ قُدّم في مؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير. المغرب . إذ جاء في مجمل ما حواه المقال ما يمكن اختصاره في هذه المحاضرة ، وذلك بتجليات نحو الخطاب الوظيفي ، عوامل ظهوره ، فحواه وضرورة تطبقاته على اللغة العربية .

سنحاول جاهدين في هذه المحاضرة إيراد جل ما يتعلق بنحو الخطاب الوظيفي من خلال رؤية الأستاذ البوشيخي ، ثم من جهة ثانية رؤية الأستاذ المتوكل وقراءته لصيغة هذا النحو الوظيفي .

1/ لماذا نحو الخطاب الوظيفي ؟[58]

لقد اعتمد تشومسكي الجمل المجردة معطياته الأساس التي تدله على مكونات الملكة النحوية وبنيتها وطريقة عملها إلا أن النماذج النحوية التي أقامها لتمثيل هذه الملكة لم تحقق مطلب الواقعية النفسية ، فاضطر إلى القول إن "مسألة الواقعية النفسية ليست، من حيث المبدإ، أكثر أو أقل حساسية من مسألة الواقعية الفيزيائية للبناءات النظرية التي يقيمها الفيزيائي" (تشومسكي 1980ب:192). ومعنى ذلك أن الواقعية النفسية ليست شيئا آخر غير التفسيرات التي يقيمها اللساني للظواهر اللغوية، وأن النحو الذي يرقى إلى الواقعية النفسية هو النحو الذي يساهم في تفسير هذه الظواهر والأحكام اللغوية.

[58] - جاءت تفاصيل هذه المحاضرة من المقال المعنون : لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي) للأستاذ عز الدين البوشيخي (مقال سابق) .

ومن الجلِيّ أن هذا التأويل لمفهوم الواقعية النفسية سَجَّل تراجع تشومسكي عن أعظم طموحاته العلمية ؛ ذلك لأن هذا التأويل لا يسمح على نحو صحيح ودقيق بالمفاضلة بين الأنحاء على أساس الواقعية النفسية ما دامت الأوصاف اللغوية المبررة لسانيا لا يُشترط فيها أن تُماثل الأوصاف اللغوية القائمة في ذهن المتكلم أو في ملكته اللغوية .

وهو تأويل يُفرغ افتراض القدرة من مضمونه، ولا يؤكد الدور الذي ينبغي أن يقوم به النحو في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية، حسب بريزنن وكابلن (1982) .

إن المحافظة على مكتسبات النظرية اللسانية وتبني المقاربة النفسية للظاهرة اللغوية يحتمان التمسك بافتراض القدرة اللغوية ومفهوم الواقعية النفسية المنسجم مع هذا الافتراض؛ إذ إن كل سلوك مغاير سيؤدي حسب بريزنن وكابلن (1982) إلى تبني فرضية ضعيفة مفادها أن ثمة أجساما من المعرفة اللغوية تختلف باختلاف أنماط السلوك الكلامي، ويُفوت فرصة توحيد نظريات التمثيل الذهني وبناء نماذج للمعالجة. فليس ثمة خلاف بين اللسانيين وعلماء النفس وعلماء الحاسوب على أن معرفة المتكلم اللغوية ممثلة ذهنيا في صورة بنيات معرفية مخزنة، وأن على اللسانيين أن يقدموا النماذج النحوية التي تتوافق مع نتائج الأبحاث اللسانية النفسية والأبحاث المعنية بالجهاز العصبي وبالاضطرابات اللغوية وباكتساب اللغة وبنماذج الإدراك ، أو على الأقل لا تتصادم معها.

وقد أخذ ديك (1978 و1989) بهذا التصور، واشترط في النحو الذي يحقق الكفاية النفسية أن لا يتعارض مع الفرضيات النفسية القوية القائمة حول معالجة اللغة، وأن يكون قادرا على الاندماج بصورة طبيعية في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية.

2/عوامل ظهور نحو الخطاب الوظيفي :

يُعد السعي في تحقيق الكفاية النفسية من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور النحو الوظيفي الخِطابي ، ويتمثل ذلك في المظاهر الثلاثة الآتية :

أ. مطابقة مراحل إنتاج الكلام وفق نماذج الإدراك.

ب. الفصل بين مستويي الدلالة والتداول، وإيلاء الأسبقية لتمثيل للمعلومات التداولية.

ج. التزام الواقعية في تحديد المعطيات اللغوية المتمثلة في الأفعال الخطابية.

فقد تمت هندسة النحو بصورة تجعله مطابقا لمراحل إنتاج الكلام كما حددها لفلت (لفلت 1998)

أ – تحديد القصد التداولي،

ب – تحديد المضمون الدلالي المناسب للقصد التداولي،

ج – صياغة القصد والمضمون في تركيب مناسب،

د – تحقيق التركيب اللغوي بالنطق أو بالكتابة.

كما تمت صياغة هذا النحو بصورة تجعله وفيا لمبدإ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، وتجعله نحوا مؤسسا تداوليا حقا. حيث يشرف التداول على الدلالة، ويشرف كل من التداول والدلالة على التركيب، ويشرف كل من التداول والدلالة والتركيب على الصواتة .فالانطلاق في إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية، وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي، ثم يُنتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يُمثل للمعلومات الدلالية.

والنحو الوظيفي الخطابي يكون بذلك قد حسم النقاش الدائر بين اللسانيين في نظرية النحو الوظيفي، والمتعلق بمحل التمثيل للمعلومات التداولية : أ في مستوى واحد حيث يمثل للمعلومات الدلالية ويمثل للمعلومات التداولية أيضا، أم في قالب تداولي مستقل؟.

ومن مظاهر قوة هذا النحو أن الفصل بين المستوى التداولي وبين المستوى الدلالي مكن من تميز المعلومات التداولية من المعلومات الدلالية وتفادي الخلط بينهما في التمثيل من جهة، ومكن من جهة أخرى من القدرة على معالجة أفعال خطابية تقوم بوظيفتها التواصلية إلا أنها فارغة دلاليا .

3/ صيغة نحو الخطاب الوظيفي [59]:

تفرع عن النحو الوظيفي المعيار أنحاء وظيفية أخرى من بينها بالخصوص ما سمي (نحو الخطاب الوظيفي) الذي راده هنخفلد (2004) ثم بمعية ماكنزي (2008) ، وواقترحت في هذا النحو صيغة لنموذج مستعمل الخطاب [تجسدها الترسيمة الموجودة ضمن كتاب الخطاب وخصائص اللغة العربية] .

لقد استطاع المتوكل أن ينثر الترسيمة الموضحة لنحو الخطاب الوظيفي كالآتي :

- يقدم نحو الخطاب الوظيفي على أربعة مكونات أركان : المكون المفهومي والمكون النحوي والمكون السياقي والمكون الصوتي .
- ويقوم المكون النحوي نفسه على مكونات فرعية هي : مكون الصياغة والمكون الصرفي – التركيبي والمكون الفونولوجي . يضطلع مكون الصياغة بتحديد المستوى العلاقي أو التداولي والمستوى التمثيلي أو الدلالي ، ويقوم المكون الصرفي – التركيبي بتحديد البنية الصرفية – التركيبية أدوات وصرفات وتراكيب . اما المكون الفرعي الفونولوجي فيحدد المستوى الصوتي بشقيه المقطعي والتطريزي تنغيما ونبرا . ويفضي المكونان الصرفي – التركيبي و الفونولوجي إلى المستوى البنيوي تام التحديد .
- يضطلع المكون السياقي برصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقيه المقالي و المقامي ، وإمداد المكونات الأخرى بها عند الحاجة ، هذه المعلومات كما هو معلوم فئتان : معلومة تؤخذ من الموقف التواصلي نفسه مباشرة عن طريق الإدراك الحسي ، ومعلومات تفاد من خطاب سابق يشار إليها عادة بالعود الإحالي .

[59] - احمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية (مرجع سابق) .

- ترصد داخل المكون المفهومي كل المعارف المتوافرة لدى منتج الخطاب بما في ذلك معارفه اللغوية الصرف والمعارف الخطابية ، إضافة إلى معارفه عن العالم ، الواقع منه والمتخيل . بطبيعته هذه ، يشكل المكون المفهومي القوة الدافعة لباقي المكونات .
- أما رابع هذه المكونات فهو"مكون الخرج" وهو ذو طبيعة مسموعة إذا كان الخطاب منطوقا، وطبيعة غير مسموعة (خطيا او إشارية) إذا كان الخطاب غير منطوق . وهنا يجب أن يشار إلى اختلاف هذا المكون عن المكون الفونولوجي الذي يفضي إلى تمثيل مجرد متدرج في البنية التحتية ، تمثيل يمكن أن يتحقق بواسطة (المكون الخرج) بالصوت أو الخط او الإشارة أو غير ذلك .

مصادر المحاضرة :

1/ - أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية (مرجع سابق) .

2/ - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – (مرجع سابق) .

3/ - جاءت تفاصيل هذه المحاضرة من المقال المعنون : لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي للأستاذ عز الدين البوشيخي (مقال سابق) .

المحاضرة 13: النحو الوظيفي المقارن

تمهيد :

يندرج الحديث في هذ المحاضرة على ما يمكن تسميته بنحو وظيفي مقارن ، واعتبار النقان ههنا ما كان متجاوزا حد التنظير في الأساس لأن أصل المقارنة هو مقابلة المبادئ الاصلية في النحو الوظيفي الغربي ، بما يختص به النحو الوظيفي العربي ، ولقد حاولنا جاهدين في هذه المحاضرة لملمة شيء من العروض والدروس التي بينت ما يمكننا مقارنة جهود القدامى من النحويين مع ما يتماثل معها من تطبيقات على النحو الوظيفي عند الغرب .

- **النظرية الوظيفية بين التأصيل الغربي و الممارسة العربية النحوية (الوظيفية عند ابن جني) :**

على هذا الأساس يمكن مناقشة هذه المحاضرة من خلال الأسئلة الآتية :

- ما هو حضور هذا المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم؟.
- ما هي حدود التقاطع بين الطرح الوظيفي المعاصر وطرح ابن جني فيما يخص البعد التواصلي عامة وإدماج مكونات اللغة في قصودها الدلالية والتداولية خاصة؟
- كيف تتحقق وظيفية النحو العربي؟
- هل هناك خصوصيات لكل من المتكلم والمتلقي في الخطاب عند القدماء في ضوء اللسانيات الحديثة ؟.

وكما هو معروف ان اللسانيات الوظيفية كما أنتجت في الغرب أحدث عليها اللسانيون العرب تعديلات مهمة، مست إطارها النظري وقواعدها ومبادئها (ياتي في مقدمتهم الاستاذ المتوكل في جميع أطوار النظرية ، والأستاذ عز الدين البوشيخي ... وغيرهما) .

مهما يكن من أمر فإن ما ترصده هذه الجهود تمثلا وإجابة ، تنظيرا وتطبيقا ، هو ما يتأسس فعليا على التصور القائل بان " الفكر اللغوي العربي فكر وظيفي بامتياز" ، وذلك من خلال نقاط معينة ندرجها في :

- النظر إلى الفكر اللغوي العربي القديم باعتباره كلا غير قابل للتجزيء (أصول، تفسير بلاغة، نحو).
- عدم التعامل مع هذا الفكر على أساس ثنائية، قديم/حديث – بل هناك فرق في درجة الاقتراب من بعضها البعض على الرغم من تباعد الأزمنة والأمكنة.
- عد الدكتور أحمد المتوكل مبدع ومنظر منهجية الفكر اللغوي العربي القديم ومطورها .
- **ملامح من النظرية الوظيفية عند ابن جني** [60]:

يمكننا الوقوف من خلال هذا الجهد عند محطات أربع نجملها فيما يلي :

- **أولها :** عده مقدمة منهجية كان عبارة عن احتراسات أبرز فيها بأنه لابد من التسليم بجملة من الأمور – يجب مراعاتها- عند محاولتنا عقد مقارنة بين طرح ابن جني والطرح الوظيفي المعاصر، وهي:

- أن مقاربة ابن جني لا تتيح إمكان التعميم المفاهيمي إلا بما تسمح به المقاربة في بعدها المعرفي، وإلا طبع هذا العمل نوع من التعسف في طريقة التعاطي معه.

-الاحتراس الثاني قائم على أن فهم بنية التواصل اللغوي ينبغي أن تؤسس على معطيات بنيوية وحضارية منظورا إليها من خلال المحاقلة المعرفية.

- ضرورة النظر إلى اللغة أو الخطاب على أنه شبكة من العلاقات البنيوية والميتابنيوية (تركيب، صرف، صواتة...) وغير الملموس أصلا من حيث الدلالة والمعنى...وما يحكمه من معطيات سياقية

[60] - بنعيسى أزاييط : " ملامح من النظرية الوظيفية عند ابن جني القدرة التواصلية نموذجا " ضمن فعاليات الندوة الدولية الموسومة بعنوان : " المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه" والتي قام بتنسيق أعمالها الدكتور عز الدين البوشيخي ، المنظمة من طرف مختبر البحث اللساني والبيداغوجي برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس يومي الجمعة والسبت 23 و 24 نونبر 2007.

وحضارية. ومن تم فالغاية التواصلية والنظر الوظيفي القصدي وارد عند بن جني، وبالتالي فمستويات الخطاب دائما ترد إلى مستوى واحد أو لطبقة واحدة كالرقم تضعه على المرقوم أو الميسم على الموسوم.

-الاحتراس الرابع يتجلى في الهدف، بحيث إن المأمول هو أن يفهم من هذا الاقتراح على أنه نوع من المقاربة في صلب المواضعة الوظيفية.

وعليه، فإن هذا العرض ينصب في عمومياته على ذلك الإدراك الشامل للغة من حيث كونها لغة تتميز فيها خصائص الحكمة وعلائق الاتقان، واعتبارها- في هذا الشأن- لغة اتقان لأن حدها هي" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، فالغاية من اتقانها هو التواصل السليم والتعبير عن أغراض متكلميها في حياتهم ومعاشهم وثقافتهم.

بهذه المعطيات الموضوعية والاحتراسات المنهجية يتحدد الإطار النظري للنظرية الوظيفية عند بن جني.

-ثانيها : يزعم فيه الباحث أن النظرية التواصلية العامة عند ابن جني تقوم على المعالم الآتية :

العناصر الثابتة :

ومنها قواعد المكون النحوي الشامل للغة الذي يحتوي على الأصناف التالية: (قواعد تركيبية، قواعد التوليف الصوتي وتصريف اللفظ، وقواعد المواضعة المعجمية أوالدلالية السائدة في كلام العرب اطرادا أو شذوذا...) وتمكن هذه القواعد من إيجاد أسس ثابتة تشكل معطيات قابلة للحوسبة المعاصرة وتترجم الملكة اللسانية التي يتوفر عليها المتكلم العربي في ثابت اللغة ومتغير الخطاب.

المبادئ المتغيرة :

كونها متغيرة لأنها مرتبطة بالخطاب المقامي وطبقاته التبليغية والبلاغية، ومنها أولا مبدأ الإيجاز بحيث إن المتكلم العربي يراعي حيثيات الخطاب انسجاما مع أن" لكل مقام مقال"، غير أن بن جني يلاحظ أن العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار والإطناب أبعد وهذا هو الطابع الجواني للخطاب. وهناك ثانيا مبدأ مشاهدة الأحوال وهو وارد عند بن جني بتحليله الأثر اللغوي للأحداث على خلفية أن الخطاب اللغوي هو حمال لعدة معاني استنادا لمقولة" رب إشارة أبلغ من لفظ"، أو بتعبير بن جني" أنا لا أحبد أن أكلم أحدا في الظلمة" ويبدو أن معظم العلماء لم يوسعوا في هذا البعد الإشاري للمعاينة، ويندرج ضمن هذا المبدأ، مبدأ "شهادة الحال" في قولنا للقادم من سفر" خير مقدم" كما أن الدلالة المصاحبة لها دور فعال ومباشر في استخلاص المعاني والحركات (تقطيب الحاجبين مثلا)، وأدرج مبدأ ثالثا سماه"مبدأ تعليق الأعلام على المعاني دون الأعيان" مشيرا إلى تنبه الفكر اللغوي لهذا الأمر على يد الدلاليين والتداوليين والمناطقة(Recanati مثلا)، وأردف كلامه بالحديث عن مبدأ "أكثر اللغة مع تأمله مجازا لا حقيقة"، أبان فيه أن بن جني حاول أن يؤسس نظرا تداوليا جديدا إزاء المستويات اللغوية(نحوا ودلالة وتداولا) في قوله:"إن أغلب اللغة مجازا" وذلك في الغاية التي تجمع بينها عندما تغدو اللغة مستوى واحدا في الممارسة والإنجاز الفعليين.

- **ثالثها :** حاول من خلاله الباحث استخلاص بعض وجوه التقاطع بين الطرح الوظيفي المعاصر وطرح ابن جني فيما يخص البعد التواصلي عامة وإدماج مكونات اللغة في قصودها الدلالية والتداولية خاصة بناء على مستويين اثنين: على مستوى النظر الوظيفي عند سيمون ديك، وكذا على مستوى المرامي والأبعاد والمكونات، وهنا أحال على كل مؤلفات الدكتور أحمد المتوكل التي تتمتع بهذا النوع من التحليل بتركيزها على وظيفية اللغة.
- **رابعها:** أفرده بشكل خاص لتحديد كيفية تحديث آليات بن جني الوصفية الوظيفية في ضوء معطيات التناول الوظيفي المعاصر انطلاقا من الإرتكاز على الثوابت والمتغيرات الواردة عنده لخدمة

اللغة العربية وخطابها، محاولا في الإتجاه ذاته توضيح هذه الوصفية (صرفية كانت أو تركيبية أو نحوية). ودمجها في المرتكزات الوظيفية (دلالية وتداولية ومقولاتية) بغرض استخلاص بعض ملامح النظرية التواصلية عند بن جني.

- **أفكاروظيفية في التراث اللغوي العربي**[61]:

من أجل إبراز خصوصية الدرس اللغوي العربي القديم يتأتى القول بأن هذا التراث وظف أفكارا وظيفية في وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها من خلال الاعتماد في تحقيق ذلك على أدوات لسانية ذات طبيعة وظيفية، إذ تحيلنا في هذا الإتجاه القراءة المتعمقة للتراث والتأمل في دراسته، والتي تكشف لنا أن النحاة والبلاغيين والأصوليين كانوا واعين بضرورة تحديد وظائف الجملة الأساسية من خلال حرصهم على تحديد مكوناتها (فعل/فاعل، مبتدأ/خبر)، موظفين لمصطلحات خرى، كالإسناد، والتعليق، متتبعين للمنهجية التي سلكها النحو العربي القديم الموجود في المنطق والأصول والبلاغة وغيرها، وحتى يكون الباحث موضوعيا في تناوله، نعمد إلى تبيان هذه القضايا انطلاقا من المسلمات التالية :

- وظيفة الفعل: كل النحاة يؤكدون أن الفعل أقوى العناصر في الجملة، وله وظيفة خاصة تختلف شيئا ما عن وظيفة، المكونات الأخرى، وهو مؤهل للقيام بوظيفة التعليق (وظيفة الانتقاء التركيبي المجرد مثلا)

- وظائف متعلقات الفعل: تتمثل في أن وظيفة الفاعل هي الفاعلية ووظيفة المفعول هي المفعولية، بحيث إنهم لم يستعملوا مصطلح "وظيفة" وإنما استعملوا مصطلح " المعنى"، وأن الوظائف تركيبية كانت أو دلالية لا تختلف عن المنظور التقليدي في تحليلهم لها. في حين نجد أن الدكتور أحمد المتوكل قدم هذا النحو بمنهج وظيفي، لكن الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري اعتمد في تحليله له على منهج توليدي صرف (الوظائف لا تختلف عن الأدوار).

[61] - عبد العزيز العماري : مداخلة بعنوان: " أفكار وظيفية في التراث اللغوي العربي " ضمن اشغال الندوة الدولية السابقة .

وجدير ذكره أن المبتدأ يطرح إشكالا تركيبيا ودلاليا، بينما وظيفة الخبر تشبه الفعل، كما يمكننا التذكير بأن بعض اللغويين العرب اهتموا بتحديد الوظيفة الأساسية للغة وهي"التعبير عن الأغراض والأحاسيس" ، وأخيرا فإن اللسانيات بشكل عام لم تبدأ من فراغ وإنما جاءت على أنقاض الفكر اللغوي العربي.

- **وظيفية النحو العربي** [62]:

في إطار حدود وظيفية قائمة ومشروعة للنحو العربي، يفترض أن هناك توجهين اثنين يجب بحثهما :

- الأول نظري تصوري مسلكه التحقق من معنى الوظيفية في التراث النحوي .
- والثاني عملي مراسي القصد منه التثبت من هذه القضية بالشاهد والمثال.

وفي ثنايا الحديث ههنا يتأكد القول بأن هذه الوظيفية في التراث العربي هي واضحة وجلية من عدة نواح نجملها في الغاية من النحو عند أئمة أعلام كابن جني وابن الطراوة وابن المستوفي وغيرهم حسب تعريفاتهم له، وكذا في تعدد هذا النحو وأنماط خطابه، باعتبار أن هذا النحو هو لدى الحذاق أنحاء : نحو للمبتدئ وآخر للشادي وثالث للمنتهي .

ثم إن المتأمل في هذا النحو يجد في معظم أبوابه وفصوله ومباحثه سيادة المعاني الوظيفية، لأن الغاية من النحو مقاصد مقصودة والمخاطب يشهد وظيفة معهودة و للتذكير فإن علامات وظيفية النحو العربي كثيرة ومتعددة ناهزت السبعين علامة أو تزيد، ومثل ذلك (السين وسوف ولن ولعل وليت...) .

[62] - عبد النبي الذكير : مداخلة الدكتور في اتجاه مقاربة" وظيفية النحو العربي نحو العلامة نموذجا" ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

- **الإحالة بين المنطق والفلسفة واللسانيات[63]:**

في إطار التعالق المعرفي بين النحو العربي القديم والأنحاء المعاصرة، يمكن التأكيد فيها أن موضوع الإحالة أو المرجعية من المواضيع التي شغلت بال المناطقة بوجه خاص (فريدج، راسل...)، وما قدمه العرب عامة يشكل نقطة تستحق العناية والإهتمام والتأمل، ولفحص هذه المسألة نعرج انطلاقا من قضايا ثلاث:

- بحث أولها قضية الإحالة والمنطق و ذلك تمثيلا باسم العلم واختلاف المناطقة في تصنيفه هل هو من النماذج الدلالية أو التداولية. ثم : ما وظيفة اسم العلم؟ وما دلالته؟ وهل يحيل على مرجع؟
- ثانيها على العلاقة بين الإحالة والفلسفة استعراضا لخاصيات فلسفية ثلاث حددها راسل وهي: الخاصية الدلالية (ممثلة بالسور الوجودي) والخاصية الإسمية (الموجودات العينية) والخاصية الواقعية (وقصد بها الموضوعات الفيزيائية) .
- ثالثها قضية للتدليل على العلاقة التي تجمع بين الإحالة واللسانيات والإشكالات التي تثيرها في هذا النطاق .

والجدير بالذكر أن هناك بعض الإشراقات اللغوية في فكرنا اللغوي العربي القديم .

- **الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي [64]:**

في هذا الموضوع يمكننا تصور ما نرومه من خلال :

- رصد الخصائص التداولية والخصائص التركيبية والصرفية والتطريزية لنص وصفي فني.
- وصف هاتين الفئتين من الخصائص في إطار نحو الخطاب الوظيفي وعلى ضوء مفهوم التغليب كما ورد عند الدكتور المتوكل (المتوكل 2003).

---

[63] - عمر مهديوي:" الإحالة بين المنطق والفلسفة واللسانيات " مداخلة ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

[64] - نعيمة الزهري : " الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي " ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

في ظل هذا التحديد، فإن لا أحد يجادل أن نظرية النحو الوظيفي قد حققت من النَضج النظري ما يكفي، فكان لزاما تثمين هذه الخطوة بتطبيق عملي وهو ما دعاه المتوكل (المتوكل 2006) ب "الكفاية الإجرائية"، لذلك يعد إقحام مجال النص في الدرس اللساني الحديث رائز من روائز المفاضلة بين عدد من الخطابات سواء منها الإقناعية أو الحوارية أو الحجاجية أو القانونية أو غيرها.. ومن خلال تعرف للنص الأدبي بكونه " كل فعل تلفظي مجسد لرؤية خاصة بالأديب تنتظم مكوناته وأنماطه ضمن نسق تعبيري معين"، في هذا الإطار نعمد إلى تنميط النصوص في النحو الوظيفي تنميطا بنيويا بقوالبه وأساليبه وبنياته.

ولتأدية هذا الغرض قامت الباحثة بانتقاء نصين متكاملين، الأول أدبي تحت عنوان (في عرض البحر)، والثاني علمي موسوم ب (البحار والمحيطات) إلا أن النص الأدبي تتخلله سمتان أساسيتان هما : حضور المتكلم فيه حضورا متميزا وصريحا علاوة على الصور البلاغية (الإستعارة والمجاز وغيرهما) الطاغية على النصوص الموغلة في الفنية، ويتجسد الهدف في الاقتصار على السمة الأولى، وإرجاع السمة الثانية بإضافة قالب إبداعي تكمن مهمته في رصد الملكة الإبداعية التي تسهم في إنتاج الخطاب الإبداعي .

مصادر المحاضرة :

1- بنعيسى أزاييط : " ملامح من النظرية الوظيفية عند ابن جني القدرة التواصلية نموذجا " ضمن فعاليات الندوة الدولية الموسومة بعنوان : " المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه" والتي قام بتنسيق أعمالها الدكتور عز الدين البوشيخي ، المنظمة من طرف مختبر البحث اللساني والبيداغوجي برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس يومي الجمعة والسبت 23 و 24 نونبر 2007.

2- عبد العزيز العماري : مداخلة بعنوان: " أفكار وظيفية في التراث اللغوي العربي " ضمن اشغال الندوة الدولية السابقة .

3- عبد النبي الذكير : مداخلة الدكتور في اتجاه مقاربة" وظيفية النحو العربي نحو العلامة نموذجا" ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

4- عمر مهديوي:" الإحالة بين المنطق والفلسفة واللسانيات " مداخلة ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

5- نعيمة الزهري : " الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي " ضمن فعاليات الندوة الدولية السابقة .

المحاضرة 14: إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي تنظيرا و تطبيقا.

تمهيد :

نحاول في هذه المحاضرة بحث أهم الإسهامات العربية في التأسيس للنحو الوظيفي بين محاولة جادة لقضايا الاستثمار الفعلي لدقائقه وتفاصيل الاستفادة منه ، متجاوزين بهذه الجهود معاني الإسقاط وليّ أعناق النصوص ، مدركين خصوصية الخطاب العربي وثنايا التعقيد الثاوية تحت الكثير من تراكيبه ، محاولين تقصي هذه الجهود من الإرهاصات والبدايات إلى الاستدراكات والتعقيبات حتى غدا القول بها بدعا من الإنجاز والتثوير .

ولعل فاتحة القول في هذا الصدد يكون من جملة ما كان مع الأستاذ أحمد المتوكل وغيره ممن أتاح لجهده ركنا ركينا ضمن إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي عموما .

إن الحديث عن المنحى الوظيفي في الخطاب العربي يفضي بنا ضرورة إلى تحديد بعض الخصائص الصورية له ، و لعل هذا مسوغ في إطاره المنهجي العام ، لذا كان لزاما علينا معرفة الكثير من هذه الخصائص وهو في حقيقته الأمر الذي لا يمكننا بأي حال من الأحوال إحصاء جميع ضوابطه و تفاصيله بقدر ما يمكننا الإشارة إلى كبرى معالمه ، مما حدا بنا إلى التركيزعلى: الخصائص المتعلقة بالمبنى والخصائص المتعلقة بالمعنى، وهو في مجمله مما أشار إليه القدامى فألهم المعاصرين من الوظيفيين فحواه ليسهموا بتحليلاتهم .

1 - ما يتعلق بالمبنى :

ليس سهلا أن نعلق وظيفة الخطاب العربي على ما يتأتى من المعاني المدرجة في التراكيب بوصف المفردات جنبا إلى جنب ، فالمفردة المعزولة عن السياق في حد ذاتها تحمل من الخصائص الوظيفية ما يجعلها كفيلة بالوصول إلى معان متعددة ، و من هنا يمكننا البحث في هذا الجانب من الدراسة بما يتعلق بملمحين كافيين للمباني و هي ذات الصلة بالبنية الصرفية ، ألا وهما : الاشتقاق ، و تعدد المعاني .

- **الملمح الأول : الاشتقاق :**

يأتي الاشتقاق في صلب ما تقوم عليه المعاجم لأنه حاصل عملية القولبة لجذور الكلمات ، مما يجعل المفردات الناشئة تعود إلى جذر واحد ، لتكون بذلك المفردة بين أصل و مشتق ، و ليس الحديث ههنا عما يميز الأصول عن المشتقات ، و لكن كيف تكون لهذه العملية خاصية وظيفية في اللغة العربية ؟ .

لقد أدرك الكثير من الباحثين قديما وحديثا ما للاشتقاق من قيمة لغوية و معرفية ، استنادا إلى ما تحققه من خصوبة و ثراء فهو " مظهر من مظاهر الثراء اللفظي في اللغة العربية ، بل إنه عامل من عوامل خلودها و بقائها ، ذلك أن السمة التوليدية في اللغة موجبة لشرف البقاء الأبدي ، و مسايرة الانفجار المعرفي الحاصل اليوم في مختلف العلوم و المعارف "[65] .

من هنا وجب علينا البحث في هذا المظهر الجلي الذي أعطى العربية خصوصية الاستجابة و المطواعية ، و من المؤكد بهذا أن المزايا التي خصت العربية بهذه العملية التوليدية يجعلنا نقر بحيازتها المكانة السامية بين نظيراتها من لغات العالم ، فانظر ما كساها الاشتقاق من خصائص :

* الخلود و البقاء : إذ لا جرم أن " اللغة الخالدة هي التي تتوافر في بنيتها الداخلية و منظومتها التعبيرية عناصر الخلود ، و مما يعزز من متانة اللغة و قابليتها للتوليد حجم الجهد المعرفي الذي بذل في استنطاق مكنوناتها و استكشاف آفاقها الدلالية و عوالمها اللفظية "[66] .

*التوليد والتفريع : و يأتي هنا معنى الاشتقاق أثبت لمعنى التضمن و هو كلام ضارب في القدم عند النحاة و الأصوليين و المتكلمين ، ألا ترى أن الحديث عن اشتقاق كلمة (الله) شغل القدامى بين ما يشتق منه ، و بين استحالة ذلك لأنه قديم و القديم لا مادة له [67] ، هذه وغيرها مما أفردت له الأبواب و ألفت فيه التآليف فمن ذلك ما يتعلق بأصل الاشتقاق (الأفعال أم المصادر؟) ، كما ميزوا

---

[65] - عزير عدمان : مقال بعنوان " الاشتقاق الأكبر بين لطف التفسير و تعسف التأويل - مقاربة في الثراء اللفظي عند ابن جني " مجلة عالم الفكر / الكويت - المجلد 41 / العدد 1 (يوليو / سبتمبر) / 2012 - ص : 08 .

[66] - عزيز عدمان : المقال السابق - ص : 09 .

[67] - ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد - تح : محمد الاسكندراني و عدنان درويش - دار الكتاب العربي / بيروت ط1/ 2004 - ص : 26 .

بين اشتقاق مادي و اشتقاق تلازم ، و غيرها من مسائل هذه العملية المفضية إلى معنى الزيادة و التضمن .

و إذا كان الاشتقاق يمنح العربية خصائص التوليد و التفريع فهو بذلك أيضا " أداة للتعبير عن المعاني المستحدثة و توليد ألفاظ جديدة لتفي بحاجات العصر ، لأن ضمور آلية الاشتقاق يفضي إلى تضييق مجال النظر اللغوي ، و يؤدي إلى اضمحلال الإمكانات التعبيرية الهائلة في اللغة "[68] .

كما لنا أن نعتبر ما يميز النسق الاشتقاقي في العربية من خصائص ، هو من جملة ما يميزها أيضا عن سائر اللغة وظيفيا ، فمن ذلك مثلا : (اشتراك الأوزان و ترادفها) ، و منها (تضمن السلسلة الاشتقاقية لثغرات) إذ [69]:

- قد يرد نفس المبنى للدلالة على معان متعددة فيستخدم الوزن الواحد مفيدا لمعنى "الاشتراك" مثـــل :

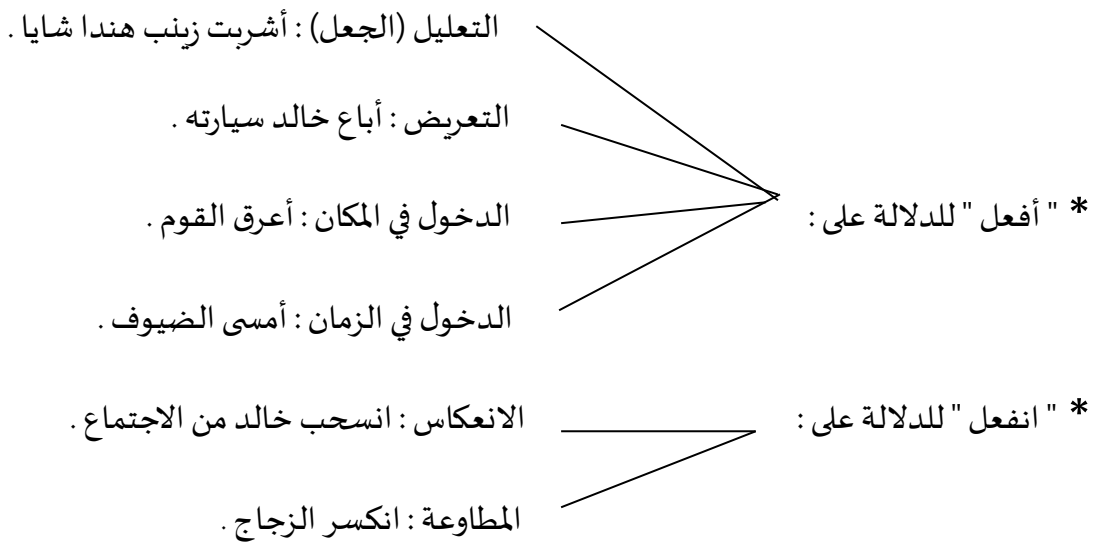

و مما يحيل من الأوزان على الاشتراك كثير ، أما ما يتعلق بـ" الترادف " :

* " فعَل " بمعنى " أفعل " دالا على : - التعليل : شرَبت هند زينب شايا .

[68] - عزيز عدمان : المقال السابق - ص : 09 .

[69] - ينظر تفاصيل أكثر عن (النسق الاشتقاقي) ضمن اللسانيات الوظيفية " لأحمد المتوكل من : ص : 185 إلى 190.

- الدخول في المكان : عرَق القوم .

- الدخول في الزمان : مسَّى الضيوف .

و " فاعل " بمعنى " تفاعل " دالا على : - المشاركة : لاكم / تلاكم .

و " انفعل " بمعنى " تفعَل " دالا على : - المطاوعة : انكسر / تكسر .

و أما " الثغرات " فهي ما تتضمنه السلسلة الاشتقاقية من حلقات فارغة إذ يدخل في هذا الاعتبار ما يعرف بـ (الإهمال) و (تداخل السلاسل الاشتقاقية) أي ما ورد عند القدامى من النحويين بالمصادر التي لا فعل لها و الأفعال التي لا مصدر لها ، و يمكن توضيح (الإهمال) بالترسيمة الآتية [70]:

سلسلة اشتقاقية ذات جذر .

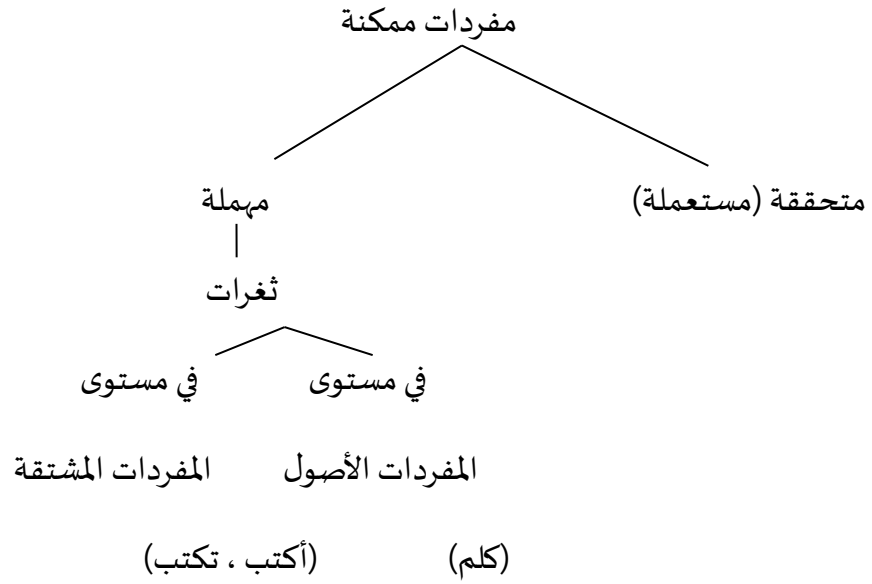

- **الملمح الثاني : تعدد المعاني :**

و مما يتعلق بمباني العربية فيخصها بخصائص وظيفية ما عبرنا عنه بتعدد المعاني و نروم بذلك جملة ما عبر عنه الأستاذ (تمام حسان) رحمه الله تحت أقسام (المعنى العرفي و المعنى الذهني و المعنى الانطباعي) ، إذ يعد " من الضروري أن نلقي نظرة على المقصود بالمعنى في عمومه و على أنواعه و أقسامه ، فقد يكون المعنى عرفيا و قد يكون ذهنيا و قد يكون انطباعيا "[71] .

---

[70] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - ص : 189 .

[71] - تمام حسان : اجتهادات لغوية - عالم الكتب / القاهرة - ط1/ 2007 - ص : 112 .

أما ما يتعلق بالمعنى العرفي منه فهو ما يكون بين عرف عام أو عرف خاص ، إذ يمثل للأول بـ :

* المعنى المعجمي : و هو أوضح ما يمثل العرف العام لأن المعجم نظام يضمن علاقة التكافل بين مكوناته ، " فيضم الألفاظ التي تعارف عليها المجتمع و يحدد معانيها و يعددها و يضع بعضها معاقبا لبعض في موضعه أو يجعله مجازا عنه ، و كل ذلك في نطاق الصياغة الأسلوبية "[72] ، فمثلا (ضرب) في هذه الاستعمالات :

- ضرب بمعنى : عاقب - ضرب الأب ابنه .
- ضرب بمعنى : سك - ضرب النقود .
- ضرب له بمعنى : حدَد - ضرب له موعدا .
- ضرب بمعنى : سافر - ضرب في الأرض .
- ضرب بمعنى : أقام - ضرب له قبة .

فإن هذا التعدد للكلمة في المعجم دليل لقابليتها و صلاحية دخولها الاستعمالات العديدة و السياقات المختلفة .

* **المعنى الصرفي و النحوي**[73] : إذ به تصرف دلالة اللفظة من معنى إلى معنى كما هو الحال مع دلالة (قائم) في قولنا " كان قائما يصلي " و قوله تعالى : " أمَن هو قائم على كل نفس بما كسبت " ، ففي المثال الأول تدل " قائم " على " اسم الفاعل " لأن الصلاة ستنقضي بعد قليل فهي للحدوث و التجدد ، و أما في المثال الثاني فتدل على " الصفة المشبَهة " لأنها تدل على الدوام والثبوت .

كما قد تكون الأبنية في تعددها ضمن ما يعرف بـ (المعاقبة) أو (المجاز) ، إذ تمثل المعاقبة " وضع لفظ في موضوع لفظ آخر بحيث ينتقل من معناه الأصلي إلى معنى اللفظ المتروك . مثال ذلك ما نراه في قوله تعالى " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى " حيث نجد (إلا) تدل على معنى (لكن) ...، أما المجاز فهو ترخص في المناسبة المعجمية بين مفردات النص"[74] ، و تكون بذلك المعاقبة

---

[72] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 113 .

[73] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 113 .

[74] - تمام حسان : المصدر السابق : ص : 113 .

قرينة الاستبدال و المجاز صورا من صور هذا الاستبدال المفضي إلى المناسبة التي من شأنها أن تعطي تعددا هو من صميم العلاقات بين ما يستعمل و ما يقصد من الألفاظ .

أما الثاني منه و هو العرف الخاص فإن ما يلحق اللفظ من تعدد المعنى إنما يعود إلى تعدد الأعراف ، فانظر مثلا إلى اختلاف المعنى في عرف النحاة و عرف المناطقة و عرف علم الجريمة لدلالة مصطلح (فاعل)[75] :

(فاعل) ⟵ بمعنى : من فعل الفعل أو قام به في عرف : النحاة .

بمعنى : ضد القابل في عرف : المناطقة .

بمعنى : مرتكب الجريمة في عرف : المرافعات .

هذا كله يندرج تحت (المعنى العرفي) أما عن المعنى الانطباعي و الذهني فيمكن أن نوجز لذلك بهذا الجدول التوضيحي :

المعنى العرفي	و هو ما يكون اجتماعيا يوحد رؤية مشتركة لجماعة ما ، و لكن هذه الجماعة قد تكون شعبا كاملا و قد تكون فئة من شعب ، و بالتالي فهو إما عرف عام أو عرف خاص .	* العرف من قبيل الثوابت . * العرف مفهوم اجتماعي * العرف قيد على حرية المتكلم * العرف من مطالبه الالتزام
المعنى الذهني	و هو ما يستنبطه الفهم من دلالة الأحداث و المواقف و القرائن الحسية إيجابا أو سلبا . فهو إلى حد ما يقابل : - مفهوم المخالفة عند الأصوليين . - ظلال المعنى عند النقاد .	أسلوب التفكير * و الأسلوب سلوك فردي . * الأسلوب نزوع إلى التحرر * الأسلوب من مطالبه التحرر * من قبيل المتغيرات .
المعنى الانطباعي	ما يحسه المرء عند تعرضه لرؤية منظر يثير في نفسه إحساسا معينا ، سواء من جانب بصري أو سمعي أو غيرها ، فيكون من رضى أو سخط ، أو رقة أو قسوة ، أو غيرها .	* الإحساس الفردي

[75] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 114 .

و الجدير بالذكر فيما يتعلق بالمعنى الذهني أن الإشارة إلى تمثلات الذهني لدلالات الألفاظ أمر قديم و أصوله مما بحث فيه الأوائل ، إذ يستدل الرازي بأن دلالة الألفاظ على ما هو بالخارج إنما هو لاحق لدلالتها على التصور فـ " الألفاظ ما وضعت لدلالة على الموجودات الخارجية ، بل وضعت للدلالة على المعاني الذهنية ... وقد أكد [هذا الطرح] كثير من المحدثين من أمثال تنيار الذي سعى إلى ضبط العلاقة بين العالم و مقولات الفكر و المقولات النحوية "[76] ، كما كان للجرجاني بُعد النظر و التأصيل فيما يتعلق بالاستدلال النفساني للظاهرة اللغوية بما يشبه عنده الحدس ، و منها أشار بعض المحدثين إلى هذه المسألة مشيدين بعمق رأي الجرجاني عند الاعتماد بـ " أن اللغة ظاهرة نفسانية في المقام الأول ... فالتقابل بين الاسم و الفعل مرده إلى خصائص تصورية تتسلط على المضمون الدلالي المستمد من الخارج "[77] .

كما يمكن أن يكون من تعدد المعنى ما له صلة بالمصطلح النحوي و البلاغي ، فمن ذلك مثلا ما تجده لتعدد معاني " المفرد " إذ قد يكون[78] :

- ما ليس مثنى و لا جمعا .
- ما ليس مضافا و لا شبيها بالمضاف .
- ما ليس جملة و لا شبه جملة .
- ما ليس مشدَدا .

و الشأن نفسه مع " الجامد " و " الصفة " و غيرها .

و أما عن التعدد المعاني بالنسبة للبلاغة ، فمثلا : المعاظلة ، المبالغة ، الحشو ، الازدواج ، الإشارة ، الإضمار ، التضمين ، التعريض ، و غيرها .

---

[76] - شكري السعدي : مقولات الحدث الدلالية في التفكير اللغوي - ص : 122 - 123 .

[77] - المرجع نفسه : ص : 122 ، كما يمكن تفصيل ذلك عن تصور [لانغاكر] في الفرق بين دلالة الاسم و دلالة الفعل في التصور العرفاني " فالفرق بين الاسم والفعل راجع إلى كيفية التمثل ، و إلى طبيعة الصور التي يستعملها الذهن في بناء المضمون التصوري الخام كما هو الحال بين " انفجر و انفجار " فيما يعرف عنده بالإدراك التعاقبي و الإدراك الجمالي . - انظر (ص : 278 – 279) .

[78] - تمام حسان : اجتهادات لغوية ، ص : 124 – 125 .

2- ما يتعلق بالمعنى :

يأتي الحديث عن القضايا المتعلقة بالمعنى في ظل البحث عن الخصائص الوظيفية للخطاب العربي مقرونا بمبحث هام من مباحث الدراسات اللسانية ألا وهو " الاستعمال " و لا شك أن القدماء لم يهملوا هذه الناحية في تراثهم اللغوي ، إذ أسهب العديد من منهم في هذه المسألة شرحا و تفسيرا ، قبل أن يولوها حقها تمثيلا و تنظيرا ، ألا ترى أن " الجرجاني أقام في الدلائل تمييزا بين معرفتين : المعرفة بأوضاع اللغة معجما و نحوا التي يتقاسمها كل المتكلمين ، و امتلاك ما أسماه الفصاحة في إنتاج الخطاب التي ينفرد بها متكلمون دون غيرهم ... [و هما معرفتان] متوافرتان كلتاهما لدى مستعمل اللغة لا تخص مستعملا دون غيره ، و إذا بدا أن فئة من مستعملي اللغة (الأدباء و المبدعين مثلا) تنفرد بمهارة خاصة في إنتاج نمط خطابي بعينه ، فإن تلك المهارة لا تعدو أن تكون نتيجة للتدرب و تغذية قدرة قطرية مشتركة "[79] .

إذن فامتلاك مستعمل اللغة هذه المعرفة اللغوية يجعلنا نسلم بفطريتها المشتركة ، و تكون بذلك و جهين :

المعرفة اللغوية[80]

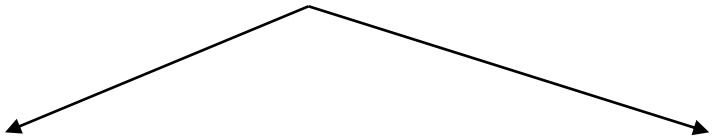

معرفة نسقية	معرفة خطابية
(معجم ونحو)	(آليات إنتاج الخطاب و تأويله .)

و بهذا الصدد تجدنا نبحث عن السمات العامة للمنحى الوظيفي للخطاب العربي من خلال ما يتعلق به و القدرة التواصلية المشتركة بين مستعمليها ، و يأتي في مقدمة هذا الثوابت الداعمة للغة

[79] - أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية - ص : 29 - 30 .

[80] - المرجع نفسه : ص : 30 .

العربية من حيث هي " نظام يربط بوسائله المعينة بين ما يقال و بين طريقة فهمه ، سواء كان القول سعيا إلى إيضاح القصد أم إلى إخفائه "[81] .

ومن هنا يمكن التفصيل في ملمحين أساسيين من جملة ما تحمله العربية من وظائف تجعلها حاملة لمعان تفضي بسبيل أو بآخر إلى الوصول إلى ذهن المتلقي مواكبا لمراد الملقي ، و هما :

- الملمح الأول : الوظائف التركيبية :

و هي تلك الوظائف المتمثلة في ما تؤديه القرائن المتعلقة بالجملة من حيث هي (مثال نحوي) يمكن الاستناد إليه عند البحث عن المعنى التركيبي للجملة ، و التي فصَل فيها النحاة و الأقدمون بالشواهد العديدة ، و يمكن الاقتصار على : (البنية ، التضام ، الرتبة ، الربط ، الإسناد ، الإعراب) [82] ، و هي ما أشار إليه الأستاذ تمام حسان في بحثه عن القرائن المعنوية و اللفظية و وظائفها في بحوثه عن " المنحى الوظيفي للغة العربية "وغيرها من المقامية فيما أشار إليه بالعلاقة السياقية إذ " من البديهي أنه لا يتم تحديد الوظائف إلا بوجود قرائن نحوية معنوية و لفظية و كذا مقامية "[83] .

كما يمكننا أن نستند لتوضيح هذا الملمح إلى المثال الذي قدمه الباحث (أحمد المتوكل) في تحليله لوظيفة (الفاعل) من حيث هي وظيفة تركيبية إذ " بروز ورود الفاعل في هذه اللغة [اللغة العربية] أنه يمكن أن يسند لا إلى الموضوع المنفَذ (أو القوة أو المتموضع أو الحائل) ، و الموضوع المتقبل و الموضوع المستقبل فحسب ، بل كذلك إلى الحدود اللواحق كالحد الحدث أو الحد الزمان أو الحد المكان ، كما يتبين من زمرة الجمل التالية :

- انطلق خالد . (المنفذ) .
- دوى الرعد (قوة) .
- اتكأت هند (متموضع) على الأريكة .

---

[81] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 149 .

[82] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ينظر تفاصيل أكثر من ص : 152 إلى 158 .

[83] - خديجة محمد الصافي : أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية و توجيهها في السياق - دار السلام / القاهرة ط1/ 2009 - ص : 68 .

- هزلت زينب (حائل) .
- بنيت الدار (متقبل) .
- سُلبت زينب (مستقبل) أملاكها .
- سير سير حثيث (حدث) .
- صيم يوم الاثنين (زمان) .
- سير أربعة فراسخ (مكان) " [84] .

والذي يعضد بهذا الوجه و يأخذ به تعلق تفسير المعنى بالبنية النحوية لما يستلزمه من ضرورة مراعاة الجانب التركيبي للوقوف عند العلاقة الكائنة بين الوصف النحوي و الدلالة و هو ما أشرنا إليه آنفا في (القرائن) .

أما عن الملمح الثاني و هو ما ينصب عليه الاهتمام في هذه الدراسة برمتها ويتمثل في وجوه الإبداع التي ترقى بالجملة إلى الشاهد النصي .

- الملمح الثاني : الوظائف التداولية :

إن مناحي التحليل الوظيفي للخطاب العربي فيما يتعلق بوجوه الإبداع التي تتخذ من الجمل و التركيب شواهد نصية كثيرة ، و هي تلك التي " تعارف عليها البلاغيون و المعنيون بالأساليب من ظواهر الوصل و الفصل ، و التقديم و التأخير و الحذف و الزيادة و الإضمار و القصر و الإيجاز و الإطناب ، و الوقف و ما أشار إليه علم النص من مفاهيم السبك و المساوقة و الإعلامية و رعاية الوقف ... و غيرها " [85]. من ذلك مثلا :

* **ظاهرة التقديم والتأخير** : و التي يجعل منها البلاغيون و النحاة غاية مراد المتكلم فهي عندهم بين تقديم على نية التأخير " و ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، و في جنسه الذي كان فيه " [86] ، و تقديم لا على نية التأخير " على أن تنقل الشيء عن الحكم إلى الحكم و

---

[84] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري : ص : 210 .

[85] - ينظر تفاصيل أكثر : تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 164 .

[86] - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني - تح : ياسين الأيوبي - المكتبة العصرية / بيروت / 2003 - ص : 148 .

تجعله بابا غبر بابه ، و إعرابا غير إعرابه "[87] ، و هذا كله بحسب ما يقدمه من وظائف تواصلية تعنى بضرورة ذلك ، ألا ترى قول القائل :

- قتل الخارجي زيد " عزوفا عن قوله : - قتل زيد الخارجي .

لما يرى من حال الناس إزاء مقولته فهو " يعلم أن للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد ، جدوى وفائدة فيعينهم ذكره و يهمهم ، و يتصل بمسرّتهم و يعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له و متطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد ، و أنهم قد كفوا شره و تخلصوا منه "[88] ، فمن أهم المعرفة بأغراض الناس أن يعرفوا تجاه فعل ما أن يقع بإنسان دون مراعاة ما أوقعه به فهم بذلك يريدون قتل الخارجي و ليس من قتله .

* **ظاهرة القصر** : و القصر باب بالغ الأهمية فيما اعتنى به المتقدمون من البلاغيين و النحاة إذ جاء فيه " اعلم أن القصر كما يجري بين المبتدأ و الخبر ... يجري بين الفعل و الفاعل ... و أنت إذا أتقنته في موضع ملكت الحكم في الباقي ، و يكفيك مجرد التنبيه هناك "[89] ، و هذا من أبرز ما يمكن أن يقال عن هذه الظاهرة و مدى مجال إبداعها الوظيفي عند مستعمليها ، و لا جرم أن من يفقه استعمالها و نظيراتها من الأبواب لجدير به أن يكف سؤال سامعه : ماذا تقصد ؟ .

و من هنا يمكن التفريق بين أحوال عديدة لمقامات تواصلية مختلفة ، فقولنا مثلا[90] :

- زيد شاعر لا منجم ←——— لمن يعتقده شاعرا و منجما .
- زيد قائم لا قاعد ←——— لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين دون ترجيح .

و يسمى هذا النوع من القصر " قصر إفراد " لإزالة شركة الثاني ، و قولنا : - ما زيد منجم بل شاعر أو زيد شاعر لا منجم لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا و هذا النوع منه " قصر قلب " .

هذا عما أشار إليه النحاة و البلاغيون في نموذجين مختصرين عن الوظائف التداولية (التقديم و التأخير) و (القصر) أما عن النماذج الأخرى فيما يتعلق بعلم النص فيمكن الاكتفاء بنموذج :

---

[87] - المصدر نفسه : ص : 148 .

[88] - المصدر نفسه : ص : 149 .

[89] - أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم - تح : نعيم زرزور - دار الكتب العلمية / بيروت ط2/1987-ص: 288 .

[90] - أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم : ص : 288 .

* **حسن السبك** : و المقصود به " الوفاء بمطالب الافتقار و الاختصار و المناسبة المعجمية بين المفردات ، و مطالب الرتبة و وسائل الربط و غير ذلك من الشروط النحوية للكلام ، و لو نظرنا إلى ما نظمه المتنبي من تحدي السبك لأدركنا قيمة حسن السبك في إبراز المعنى و بيان حسنه ، قال المتنبي :

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما .

أراد أن يقول : فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها ، و لكن سوء السبك حال دون فهم ما قاله "[91] .

و مثله يقال عن المساوقة و الإعلامية و رعاية الموقف و غيرها من المعايير النصية التي تجعلها العربية من أولى اهتماماتها وظيفيا فلا إبداع في المعنى و لا تحقق لمراد الملقي إلا بما أولاه من رعاية بالغة لهذه المعايير و حسن انتفاعه بها .

كما أنه كان لعديد الوجوه الآنفة الذكر القسط الوافر في كتب المتقدمين ما يثبت حقيقة المنحى الوظيفي للخطاب العربي فيسمه بخصائص أقل ما يقال عنها أنها سمات من قبيل الثوابت و المتغيرات ، ثوابت في بنية الخطاب و متغيرات في نمطية الاستعمال .

- **نظرية النحو الوظيفي في العالم العربي .. مشروع أحمد المتوكل [92] :**

نحاول في هذه التتمة للمحاضرة استكمال أهم الإسهامات العربية في التأسيس للنحو الوظيفي من حيث هو المشروع الذي استوفى حقيقة جوانب التأسيس والتأصيل ، فضلا عن المقاربات الفعلية التطبيقية ، بين محاولة جادة لقضايا الاستثمار الفعلي لدقائقه وتفاصيل الاستفادة منه ، متجاوزين بهذه الجهود معاني الإسقاط وليّ أعناق النصوص ، مدركين خصوصية الخطاب العربي

[91] - تمام حسان : اجتهادات لغوية : ص : 166 .

[92] - أرشيف منتدى الألوكة - نظرية النحو الوظيفي في العالم العربي مشروع أحمد المتوكل - المكتبة الشاملة الحديثة (محمد مليطان 10 / 01/ ,2010- صباحاً / الرابط:https://al-maktaba.org/book/31869/22306#p11) .

وثنايا التعقيد الثاوية تحت الكثير من تراكيبه مع محاولة منا تقصي هذه الجهود من الإرهاصات والبدايات إلى الاستدراكات والتعقيبات حتى غدا القول بها بدعا من الإنجاز والتثوير .

ولعل فاتحة القول في هذا الصدد يكون من جملة ما كان مع الأستاذ أحمد المتوكل وغيره ممن أتاح لجهده ركنا ركينا ضمن إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي عموما .

نشأ المنحى الوظيفي بالمغرب بعد نقل "نظرية النحو الوظيفي "من جامعة أمستردام، كما صاغها سيمون دِكْ ومجموعة من الباحثين زملائه، إلى المغرب في السنوات الأولى من الثمانينات .ولم يكن نقل النظرية إلى المغرب نقلا مجرداً وإنما كان نقلا مرّ بثلاث مراحل :مرحلة الاستنبات ومرحلة التأصيل ومرحلة الإسهام والتطوير.في المرحلة الأولى أخذت نظرية النحو الوظيفي، حين نقلت إلى المغرب، مكانها بين الاتجاهات اللسانية التي كانت سائدة آنذاك وعلى رأسها الاتجاه البنيوي والاتجاه التوليدي التحويلي بالإضافة إلى الدرس اللغوي العربي القديم نحوه وبلاغته إلى غير ذلك. ثم انتقل إلى مرحلة التأصيل حيث تمّ ربطُ نظرية النحو الوظيفي بالفكر اللغوي العربي القديم على أساس أن الفكر اللغوي العربي القديم أصل لمنحى وظيفي عربي يمتد بواسطة الدرس اللساني الوظيفي الحديث.في المرحلة الثالثة شرع الأستاذ الدكتور أحمد المتوكل في الإسهام في تطوير نظرية النحو الوظيفي نفسها.

هذا النقل والاستنبات والتأصيل والتطوير كان في بداية الأمر حكرا على جامعة محمد الخامس بالرباط بالمغرب ثم انتقل منها إلى جامعات أخرى في المغرب ثم إلى بلدان أخرى كالجزائر وتونس وليبيا والمشرق العربي مصر والعراق وسوريا ثم بلدان الخليج العربي حيث تأثر بهذا المنحى وتبناه مجموعة من الباحثين.

بعد أن استتب للمنحى الوظيفي الأمر عزم الأستاذ الدكتور أحمد المتوكل على أن يضع مشروعاً متكاملاً ذا ثلاثة اتجاهات رئيسية كبرى :

- أولا اللسانيات واللغة العربية،
- وثانيا اللسانيات وقضايا المجتمع،

- وثالثا اللسانيات والفكر اللغوي العربي القديم .

ففي الاتجاه الأول مثلا أسس الأستاذ المتوكل مشروعه اللساني على مجموعة من المبادئ منها : مبدأ أن المنهج الوحيد لدراسة اللغة العربية باعتبارها لغة كسائر اللغات البشرية غيرها هو المنهج اللساني الذي لا يعدله منهج آخر. من المبادئ، أيضا، أن أقرب المقاربات إلى وصف ظواهر اللغة وتفسيرها هي المقاربة التي تربط بنية اللغة بوظيفتها التواصلية وتدرس هذه البنية على أساس أنها تابعة لتلك الوظيفة التواصلية إلى حد كبير، وهو الذي تعتمده نظرية النحو الوظيفي .ومن المبادئ التي قام عليها المشروع المتوكلي اللساني أن اللغة العربية تخضع لما تخضع إليه اللغات الأخرى من مناهج. مهما خصّت خصائصُها فهي تبقى لغة بشرية كسائر اللغات الأخرى وينطبق عليها من المناهج ما ينطبق على اللغات الطبيعية

بوجه عام يهدف مشروع الأستاذ المتوكل إلى دراسة اللغة العربية صرفاً وتركيباً ودلالةً وتداولاً من نفس المنظور، أي ترابط البنية بالوظيفة، وتنميط اللغة العربية بمقارنتها مع غيرها من اللغات، ودراسة تطورها.

وفي الاخير يمكن للباحث المتتبع لمشروع المتوكل ان يخلص إلى ما مفاده : أن الأستاذ أحمد المتوكل قد وضع نحواً وظيفياً متكاملاً للغة العربية، ودرس علاقة اللغة العربية - من نفس المنظور- بلغات أخرى، ووصل إلى تنميط يميّز بين فئتين كبرتين من اللغات، اللغات المؤسسة تداولياً واللغات المؤسسة دلالياً، ويعني باللغات المؤسسة تداوليا -وإليها تنتمي اللغة العربية- اللغات التي تُغلّب المستوى التداولي على المستويين الدلالي والصرفي-التركيبي. وبالنسبة للدراسة التطورية للغة العربية أثبت الأستاذ المتوكل أن اللغة العربية تنزع إلى الانتقال عن طريق دوارجها من الفئة الأولى - فئة اللغات المغلِّبة للتداول على الدلالة - إلى فئة اللغات المغلِّبة للدلالة، وأوضح أن اللغات العربية الدوارج الآن لم تعد تحرّر الرتبة للدلالة على الوظائف التداولية؛ لأنها فقدت الإعراب وأصبحت الرتبة هي الدالة على الوظائف التركيبية، حين نقلت نظرية النحو الوظيفي إلى المغرب ثم العالم

العربي لم يقم الأستاذ أحمد المتوكل باستنباتها فقط بل أصّلها ولم يؤصّلها فقط بل أسهم في تطويرها.

وجوانب الإسهام كثيرة جدا نجدها في الوظائف التداولية ونجدها في القوة الإنجازية التي تواكب الجمل ونجدها كذلك في إخراج نظرية النحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب ، ومن أهم إسهامات الأستاذ المتوكل في نظرية النحو الوظيفي هي أنه كان سبّاقاً إلى نقل اللسانيات من الوصف اللغوي المحض إلى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية فلم يسبقه أحد إلى هذا داخل نظرية النحو الوظيفي نفسها. وفي هذا المضمار دافع الأستاذ المتوكل عن فكرة أن النظرية اللسانية - وظيفية كانت أم غير وظيفية - يجب أن تحرز كفايتين اثنتين، كفاية لغوية وكفاية إجرائية، كفاية لغوية تحرزها حين تستشرف مستوى الوصف الملائم لظواهر اللغات البشرية، وكفاية إجرائية تحرزها حين تستطيع نفس النظرية - لا نظرية أخرى- أن تطبَّق في مجالات اجتماعية اقتصادية كالترجمة وتحليل النصوص والأمراض النفسية المسببة للاضطرابات اللغوية.

وفي مجال تعليم اللغات قدم الأستاذ المتوكل فكرة نظنها من الأفكار التي لم يُسْبَق إليها وهي أن تعليم اللغات يجب أن يتم عن طريق الوظائف لا عن طريق البنيات، وهو نفس المبدأ الذي طبّقه في معالجته لترجمة النصوص حيث أثبت أن الترجمة لا تكون بين عبارتين بل تكون بين بنيتين تحتيتين لعبارة مصدر وعبارة هدف .

وبالنسبة للاضطرابات اللغوية فقد أشرف الأستاذ المتوكل على بحوث انتهى فيها الباحثون إلى أن النحو الوظيفي يمكّن من رصد الاضطرابات الثاوية خلف الاضطرابات اللغوية وجُلّ هذه الاضطرابات اضطرابات تداولية تمس الوظائف التداولية والقوة الإنجازية للعبارة اللغوية وتناسق الخطاب الذي يكون عن طريق المحافظة على نفس المحور إلى غير ذلك. وقد وصل الباحثون في هذا المجال إلى نتائج مرضية سيكون لها دور كبير في مساعدة الأطباء النفسيين في معالجتهم للأمراض العقلية والنفسية على السواء.

في محور اللسانيات وعلاقتها بالفكر اللغوي العربي القديم، انطلق الأستاذ المتوكل من مبدأ أنه لا قطيعة معرفية تفصل التراث - أيّاً كان نوعه - عن الدرس اللساني الحديث - كما كان يعتقد - ومن هذا المبدأ وضع منهجية علمية واضحة المعالم لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم. من مبادئ هذه المنهجية أن الفكر اللغوي العربي القديم كلٌّ لا يتجزأ، نحو وصرف وبلاغة وأصول فقه وتفسير إلى غير ذلك. هذه العلوم –كما يرى الأستاذ المتوكل- لم تكن قط منفصلة، بل كانت آوية إلى أساس معرفي واحد، وأن هذا الأساس المعرفي أساس وظيفي، ولم يكن ذلك صدفة، حيث إن المفكرين اللغويين العرب القدماء درسوا اللغة انطلاقاً من نصوص وليس من جمل صورية منفردة، وكانت هذه المقاربة مقاربة وظيفية في أساسها تربط بنية اللغة معجماً وصرفاً وتركيباً بوظيفة التواصل.

ومن معالم هذه المنهجية كذلك أن الفكر اللغوي العربي القديم يمكن أن يتخذ أحد أوضاع ثلاثة :

- إمّا أن يُعدّ حقبة تاريخية لفكر وظيفي معين وامتداده في البحث اللساني الحديث .
- وإمّا أن يكون مرجعا لهذا الدرس اللساني الوظيفي الحديث يحتج به عند الحاجة .
- وإما أن يكون مصدراً تمنح منه آراء ومفاهيم وتحليلات وذلك ما قام به، مثلا، في كتابه "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي .. الأصول والامتداد - منشورات دار الأمان الرباط، 2006." .

لقد أنفق الأستاذ المتوكل على مشروعه بسخاء قل نظيره، فقد تفرغ طيلة أزيد من ثلاثين عاما لخدمة هذا المشروع اللساني العربي الذي يعد من أنضج المشاريع اللسانية العربية الحديثة وأكملها لكونه مشروعا واضح المعالم من حيث موضوعه وأهدافه وأداوته المفاهيمية والإجرائية، حتى إن بعض اللسانيين المعاصرين اعتبر مشروع الأستاذ أحمد المتوكل بمثابة رد الاعتبار للفكر اللساني العربي القديم .

مصادر المحاضرة :

1/- ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد - تح : محمد الاسكندراني و عدنان درويش - دار الكتاب العربي / بيروت ط$_1$/ 2004 .

2/- أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم - تح : نعيم زرزور - دار الكتب العلمية / بيروت ط$_2$/1987 .

3/ - أحمد المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية (مرجع سابق) .

4/ - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – (مرجع سابق) .

5/ - تمام حسان : اجتهادات لغوية - عالم الكتب / القاهرة - ط$_1$/ 2007 –

6/ - خديجة محمد الصافي : أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية و توجيهها في السياق - دار السلام / القاهرة ط$_1$/ 2009 .

7/- شكري السعدي : مقولات الحدث الدلالية في التفكير اللغوي – بحث في الأسس الدلالية للبنى النحوية – دار الكتاب الجديد المتحدة / بيروت – ط1 - 2013 .

8/ - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني - تح : ياسين الأيوبي - المكتبة العصرية / بيروت / 2003 .

9/ - عزير عدمان : مقال بعنوان " الاشتقاق الأكبر بين لطف التفسير و تعسف التأويل - مقاربة في الثراء اللفظي عند ابن جني " مجلة عالم الفكر / الكويت - المجلد 41 / العدد 1 (يوليو / سبتمبر) / 2012 .

- أرشيف منتدى الألوكة - نظرية النحو الوظيفي في العالم العربي مشروع أحمد المتوكل - المكتبة الشاملة الحديثة (محمد مليطان 10 / 01/ ,2010- صباحاً / الرابط:- https://al-maktaba.org/book/31869/22306#p11

فهرس المحتويات:

- مقدمة ..... 01 ـــــ 02
- نموذج هايمز من الواقعية التركيبية إلى الواقعية النفسية ..... 03 ـــــ 08
- نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس والتأصيل ..... 09 ـــــ 15
- بين الوظيفة والوظيفية ..... 16 ـــــ 21
- موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي ..... 22 ـــــ 30
- القدرة التواصلية وضوابط الوصف اللغوي ..... 31 ـــــ 34
- تنظيم مستعمل اللغة الطبيعية ومشروع النحو القالبي ..... 35 ـــــ 40
- القالب النحوي وخصوصياته في تمثيل اللغة ..... 41 ـــــ 43
- الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الحملية ..... 44 ـــــ 47
- الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية المكونية ..... 48 ـــــ 53
- الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الوظيفية ..... 54 ـــــ 59
- النظرية القالبية وتطبيقاتها في الاستعمال اللغوي ..... 60 ـــــ 65
- نحو الخطاب الوظيفي ..... 66 ـــــ 70
- النحو الوظيفي المقارن ..... 71 ـــــ 79
- إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي تنظيرا وتطبيقا ..... 80 ـــــ 96
- فهرس المحتويات 97